



من النوادر القيمة

سلسلة عقائد السلف (٨)

الفتح المبين

بالرد على نقد عبد الله بن محمد الصديق الغماري لكتاب الأربعين

بقلم

الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي

طبعة حديثة ١٤٢٦هـ : ٢٠٠٥م

دار النوادر القيمة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

من النوادر القيمة

سلسلة عقائد السلف (٨)

الفتح المبين

بالرد على نقد عبد الله بن محمد الصديق الغماري لكتاب الأربعين

بقلم
الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي

طبعة حديثة ١٤٢٦هـ : ٢٠٠٥م

دار النوادر القيمة

الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ

طبعة حديثة ١٤٢٦هـ : ٢٠٠٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

يقـول الله تعـالى : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه. . . ﴾ الأعراف (١٨٠).

﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ الصافات (١٨٠) .

﴿ . . . ان الله عليم بذات الصدور ﴾. لقمان (٢٣).

﴿ . . . ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ الشورى (١١) .

﴿ قد سمـع الله قول التي تجادلـك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير ﴾. المجادلة (١).

ان المـولى سبحـانـه قد دعـا عبـاده إلى أن يدعوه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ومن هنا يجب على المسلم عند قراءته لكتاب الله العزيز وتـدبـر آيـاتـه أن يتأمـل معـانى هذه الأسـماء والصفـات، وما دلت عليه ليستشعـر المـراقبة التامة من الله عزوجل، وأنه يسمع العبد ويراه، ويعلم ما توسوس به نفسه، وبذلك يجني ثمرة إيمانه بأسماء الله وصفاته في حياته العمليـة ـ فلا يترك خيرا أمـر به، ولا يرتكب شرا حذر منـه ﴿ولقد خلقنا الإنسـان ونعلم ما توسـوس به نفسه﴾. ق (١٦). والمصير إلى الله ﴿انا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير﴾. ق (٤٣).

وتأويـل أسـماء الله وصفـاتـه يفقـدهـا هذه المعانى التي بالإيمان بها يسعد المجتمع المسلم بل المجتمع الإنساني كله. ومن هنا سلك السلف

رضوان الله عليهم في هذا الباب مسلك الإيمان بجميع ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك ما ثبت عن رسوله ﷺ لأن الله جلت قدرته هو اعلم بنفسه وبما يصلح عباده، ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾ ورسول الله أخشى الناس وأتقاهم لله، فلا يصف خالقه إلا بما يليق بجلاله وكماله. وقد رأيت انه من المناسب أن اذكر أمثلة من أقوال العلماء بين يدي هذا الكتاب وأبدأ بقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقد قالت كما في مسند الإمام أحمد (٤٦/٦) : عند تفسير قوله تعالى : ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها...**﴾ الآية. «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل ﴿**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها...**﴾ ورواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقا. فتح الباري (**٣٧٢/١٣**).

من أقوال الأئمة في الصفات :

يقول الإمام أحمد بن حنبل :

«التشبيه أن نقول : يد كيد ووجه كوجه، فأما إثبات يد ليست كالأيدي، ووجه ليس كالوجوه فهو إثبات ذات ليست كالذوات وحياة ليست كغيرها من الحياة وسمع وبصر ليس كالأسماع والأبصار، وليس إلا هذا المسلك ومسلك التعطيل المحض والتناقض الذي لا يثبت لصاحبه قدم في النفي ولا في الإثبات، وبالله التوفيق. مختصر الصواعق (٢٧/١).

ويقول الإمام نعيم بن حماد الخزاعي : «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيها» فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٩٦/٥).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

ومذهب السلف بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات، فقوله تعالى : ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ رد على أهل التشبيه والتمثيل .

وقوله : ﴿**وهو السميع البصير**﴾ رد على أهل النفي والتعطيل، فالممثل أعشى، والمعطل أعمى، الممثل يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً». الفتاوى (٥/١٩٦) .

يقول ابن حجر : وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب العقيدة له : «أخبر الله في كتابه وثبت عن رسوله الاستواء والنزول والنفس واليد والعين، فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل، إذ لولا الله ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى، **قال الطيبي** : هذا هو المذهب المعتمد وبه يقول السلف الصالح، **وقال غيره** : لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك، ولا المنع من ذكره ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه مما لا يجوز، مع حضه على التبليغ عنه بقوله : «ليبلغ الشاهد الغائب» حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته وما فعل بحضرته، فدل على انهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراده الله منها، ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى : ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم، وبالله التوفيق. اهـ. فتح الباري (١٣/٣٩٠) .

(ب) ومن المعاصرين :

نكتفي بنقل قول : أبي الفيض أحمد بن الصديق الغماري ـ أخو الناقد ـ من كتابه المسمى «الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل

التقليد». يقول في ورقة (٤٦) على آية المائدة (٦٣) : **﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾**. الآية.

قال : أمـا الأشعـريـة فأنكـرت أن تكـون لله يد بالمـرة فهم أظلم منهم، وزعمـوا أن من قال لله يد، وعـين، وقـدم، مشبه ومجسم. وحرفوا معنى قولـه تعـالى : **﴿بأعيننـا﴾** وفي ذين ونحـوهما بالحفظ والقدرة، وهو خلاف الحق ومـذهب السلف، فكـانوا في ذلك أعلم من الله الذي أثبت ذلـك لنفسـه على المعنى الـذي أراده لا على معنى الجـارحة الذي فهمه الأشعرية وغيرهم من المؤولة، وضل من قال : قدرتاه مبسوطتان. اهـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

ان الحمـد لله نحمـده ونستعينـه ونستهـديـه ونعـوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾(1)، ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا﴾(2).

﴿يـاأيهـا الـذين آمنـوا اتقـوا الله وقـولوا قولا سديدا. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيماً﴾(3).

أمـا بعـــد   فإن الله جلت قدرتـه قد بعث رسـوله محمدا ﷺ إلى البشـريـة جميعـا حين ضلت عن الصـراط السـوي فتـاهت في عقـائـدها وعبـاداتهـا ومعـامـلاتهـا، فقد ترك العرب دين ابراهيم وملته الحنيفية ملة التـوحيـد الخالص فعبدوا الأوثان والأصنام وسموها آلهة كما فعل ذلك من قبلهم قال تعـالى عن عبـدة الأوثـان : ﴿مـا تعبـدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم إلا لله أمر الا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(4).

---

(1) آل عمران/102

(2) النساء/1

(3) الاحزاب / 70، 71

(4) يوسف / 40

وأهل الكتاب اليهود والنصارى حرفوا وبدلوا وضلوا وأضلوا فعبدوا غير الله تعالى فاليهود ادعوا ان عزيرا ابن الله ، والنصارى قالوا المسيح ابن الله ، وثالث ثلاثة .

يقول تعالى مخبرا عنهم بذلك : ﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون**﴾[1] .

وقال : ﴿**لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد**﴾ ، وقال رسول الله ﷺ في حديث عائشة «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2] . وقد اقتضت حكمة الله ان لا يعذب عباده إلا بعد قيام الحجة عليهم ومن أجل ذلك ارسل في كل أمة رسولا .

قال تعالى بعد ذكر الرسل الذين ارسلهم مَنْ قصهم في كتابه على نبيه ومن لم يقصصهم : ﴿**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً**﴾[3] .

وفي صحيح البخاري : «ما أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين»[4] وقد توالت تلك الرسل لدعوة الناس إلى الحق وإلى عبادة الله وحده .

﴿**إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة إلا خلا فيها نذير**﴾[5] .

وقد أكمل الله تلك الرسالات بخاتم رسله محمد ﷺ رحمة للعالمين

---

(١) التوبة / ٣٠

(٢) البخارى فتح البارى ٣/ ٢٠٠ ح ١٣٣٠

(٣) النساء / ١٦٥

(٤) البخارى فتح البارى ١٣/ ٣٩٩ ح٧٤١٦

(٥) فاطر / ٢٤

جميعا بعد ان غير أهل الأديان وبدلوا كما في مسند الإمام أحمد عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته : «وان ربي أمرني أن أعلمكم مما جهلتم مما علمنى في يومي هذا كل ما نحلته عبدي حلال واني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وان الشياطين أتتهم فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، ثم ان الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم. عربهم وعجمهم إلا بقايا من بني اسرائيل. وقال : إنما بعثتك لأبتليك وابتلى بك»... الحديث

والشاهد من هذا الحديث قوله : «ان الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عرّبهم وعجمهم... الخ» فإنه يصور لنا الحالة التي وصلت إليها البشرية قبل بعثة محمد ﷺ، فهناك الوثنية التي تتخذ آلهتها من الأحجار المنحوته والأصنام المنصوبه تعبدها من دون الله .

والمسيحية الضالة عن سواء السبيل التي جعلت الإله الواحد الأحد ألهة ثلاثة وعبدت المسيح وجعلته ابناً لله واتخذت من القديسين والرهبان اربابا .

واليهودية التي جعلت عزيرا ابن الله واتخذت الأحبار أربابا **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا... ﴾**[1].

والمجوسية تدين بوجود إلهين، إله للخير، وإله للشر، وتعبد النار فتجعل لها بيتا تحج إليه وتقيم لها سدنة يذكون لهيبها حتى لاتفتر لحظة ونحل أخرى صابئة يعبدون الكواكب والنجوم ويعتقدون تأثيرها ويطلبون رضاها. ودهرية زنادقة دينهم الهوى وعبادة الشهوات لا يؤمنون

---

(١) التوبة / ٣١ .

ببعث ولا حساب ولا غاية لهم وراء هذه الحياة الدنيا .

في هذه الفترة التي التبس فيها الحق بالباطل على أهل الأرض فتاهوا في بيداء الضلالة وغرقوا في بحر لجي من الظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض، ظلمات الشرك والظلم والطغيان في الأرض سطع نور الحق من مكة فملأ الكون هدى وضياء سطع نور خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ ليخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور رحمة من الله لعباده جميعا **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**(١)، **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**(٢).

وقد أشار الله في كتابه إلى هذه النحل بقوله : **﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد﴾**(٣) هكذا كان حال المجتمع الإنساني حين بُعث محمد ﷺ .

وقد سلك المصطفى ﷺ لإصلاح المجتمع ودعوتهم إلى الله المنهج الذي رسمه له خالقه بقوله : **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**(٤).

ولم ينتقل من هذه الدار إلى دار الآخرة إلا وقد أكمل الله له هذا الدين وبلغه رسول الله البلاغ المبين، وأهم شيء معرفة العباد ربَّهم والإيمان به .

اعتقادا في الله وإيمانا به بأنه الخالق الرازق المحيي المميت وهو ما يعترف به المشركون .

---

(١) الأنبياء / ١٠٧.

(٢) سبأ / ٢٨.

(٣) الحج / ١٧.

(٤) النحل / ١٢٥.

وبأنـه الإلـه المستحق للعبـادة وحده بجميع أنواعها لا يجوز صرف شيء منهـا إلى غيره وإخـلاصهـا له وحـده ﴿وما أمـروا إلا ليعبـدوا الله مخلصين له الدين﴾[1] .

وإيـمانـاً بأسـمائـه وصفـاتـه كما نص على ذلك في كتابه حينما سأل الكفار رسول الله ﷺ أن يصف لهم ربَّه الذي يعبده فأنزل الله عليه قوله تعـالى : ﴿قـل هو الله أحـد. الله الصمـد. لم يلد. ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد﴾ جوابا لسؤالهم .

فهـذا تنـزيـه له تعـالى مع إثبـات صفـات الكمال كقوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهـو السميـع البصـير﴾[2] وقوله : ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيـده وهـو أهـون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهـو العـزيـز الحكيم﴾[3] وقد نص الله على اكمال الدين بجميع شرائعه اعتقادا وعبادة بقوله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[4]، وقد نزلت هذه الآية يوم عرفة في حجة الوداع وقد جاء في خطبته ﷺ في ذلك اليوم في عرفه وهو يبين للناس أمـور دينهم من الحـلال والحـرام كتحـريم الربا وتحريم دم المسلم وعرضه وماله وغير ذلك من أحكام الإسلام ويقول لهم : هل بلغت ؟ فيقولون : نعم. فيرفـع يده الكـريمـة إلى السـماء وينصـوبهـا إليهم ويقول : اللهم فاشهد اللهم فاشهد .

وبـإجمـاع علماء الإسلام ان الرسول بلغ البلاغ المبين ولم يترك شيئا تحتاج إليه الأمة في أمر دينها عبادة واعتقاداً إلا بلغه، ولذلك تقول عائشة رضي الله عنها كما في الصحيحين : «ومن قال : إن محمداً كتم شيئا فقد اعظم على الله الفرية»[5].

---

(١) البينة / ٥ .

(٢) الشورى / ١١ .

(٣) الروم /٢٧ .

(٤) المائدة /٣ .

(٥) البخاری/التفسير سورة النجم فتح الباری ٨/٦٠٦ح ٤٨٥٥

يوضح ذلك قوله ﷺ : «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»[1].

وأعظم ما اهتم به الرسل جميعا هو بيانهم لمن أرسلوا إليهم صفات خالقهم وما يجب على العباد له من عبادة خالصة من شوائب الشرك، واعتقاد في أسمائه وصفاته ودعائه بها وعدم الإلحاد فيها كما في قوله تعالى : ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾[2].

وكان رسول الهدى وخاتم الرسل والأنبياء أكملهم بيانا لذلك.

وقد وردت أسماء الله وصفاته في كتابه العزيز واصفاً بها نفسه فأخبر عن نفسه أنه الإله المنفرد بالعبودية فلا تجب العبادة إلا له - لأنه الخالق الرازق : ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم﴾[3]، ﴿هل من خالق غير الله﴾، ﴿أروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ .

وأنه الحي القيوم، العليم الحكيم، السميع البصير، العلي الأعلى وأخبر أنه استوى على عرشه في سبعة مواضع من كتابه، وانه خلق آدم بيده، وجاء في سنة رسوله الصحيحة انه كتب التوراة لموسى بيده، وقال مخبرا عن اليهود : ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ .

ووبخ إبليس وقرعه لاستكباره عن السجود لمن خلقه بيده فقال : ﴿ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي﴾ .

وأثبت ذلك له رسوله ﷺ في سنته الصحيحة ومن ذلك ما ورد في الصحيحين من محاجة آدم وموسى عليهما السلام، قال موسى لآدم : «أنت الذي خلقك الله بيده أخرجتنا ونفسك من الجنة» . . . الحديث.

---

(١) ابن ماجة / المقدمة ١/١٦ ح ٤٣.
(٢) الأعراف / ١٨٠.
(٣) البقرة / ٢١.

وقال آدم لموسى : «أنت الذي كلمك الله وكتب لك التوراة بيده»... الحديث.

وما ذلك إلا لخصوصية كل واحد منهما بشيء خصه الله به وميزه عن المخلوقات لأن المخلوقات كلها خلقت بقدرة الله، فلو كان المقصود باليد القدرة فأي ميزة لآدم حتى على أدنى المخلوقات، ولقال إبليس : وأنا خلقتني بقدرتك .

ان هذه الأسماء والصفات التي وردت في كتاب الله وفي سنة رسوله الصحيحة آمن بها رسول الله ﷺ ووصف بها ربَّه وهو أعلم الخلق بالله وأتقاهم وأخشاهم له .

ثم آمن بها أصحابه الذين اختارهم الله على علم لصحبة نبيه، ولم يثبت لا في الصحاح ولا في المسانيد ولا في السنن انه نقل عن صحابي واحد استفسر رسول الله ﷺ عن اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته، وما ذلك إلا لوضوحها وفهمهم لمعانيها ودلالاتها من لغتهم التي نزل القرآن بها .

والله العليم الحكيم لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم ما يشكل عليهم، فإذا كان هذا مسلك الصحابة في هذا الباب.

فهل يسوغ لمسلم أن يقول لمن تبعهم في ذلك وآمن بما آمنوا به واعتقد ما اعتقدوه في أسماء الله وصفاته أن يقال له : إنه لا يفهم معانى اللغة العربية ودلالتها .

ان هذا القول يعنى أن الصحابة رضوان الله عليهم بل والرسول ﷺ لم يفهموا ما نزل بلغتهم، وذلك لأنهم آمنوا بتلك الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يؤ لوها .

والهروي ومن سبقه من السلف البخاري ومسلم وأحمد وسفيان والشافعي ومالك وأبي حنيفة وغيرهم ممن تبع الصحابة من التابعين

واقتفوا آثارهم في هذا الباب ومن تبعهم بإحسان لم يفهموا اللغة العربية أيضا لأنهم جميعا لم يؤلوا صفات الله تعالى وإنما أثبتوها كما جاءت على أساس قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ . وأقول : كفى بمن يعتقد هذا بعداً عن الحق .

ان الثابت عن علماء السنة في تحديد أول مبتدع خرج عن منهج السلف في باب الأسماء والصفات هوذلك الرجل الذي جاء إلى الإمام مالك رحمه الله إمام دار الهجرة فوجه له ذلك السؤال المبتدع وهو قوله : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى ؟ .

وقد أطرق الإمام مالك رأسه وعلته الرحضاء لمثل هذا السؤال الذي لم يسأله من قام لله في قلبه خشية .

وبعد لحظة أجابه بقوله : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ولا أراك إلا مبتدعا ، وأمر بإخراجه .

ان هذا الجواب من الإمام مالك رحمه الله قد جعله أهل السنة منهجا ودستورا في باب أسماء الله وصفاته .

فالاستواء معلوم : أي معلوم معناه من لغة العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ولهذا لم يسأل الصحابة رسول الله ﷺ عن ذلك لمعرفتهم له من لغتهم . ولو أشكل عليهم معناه لسألوه كما سألوه عن مسائل أخرى .

والقرآن مليء بذلك كما في الآيات التي فيها : يسألونك . . . الخ والجواب عنها .

وكذلك جميع الصفات معلوم معناها من لغة العرب .

وقوله : والكيف مجهول . لأن الكيفية للصفات تبع لمعرفة كيفية الذات ، فكما أن المسلم يؤمن بوجود الله تعالى وان له الكمال المطلق وانه لا يشبهه شيء في وجوده ، فكذلك يؤمن بصفاته الكاملة المنزهة عن كل

نقص وعيب ولا يعرف كيفيتها، وذلك على أساس قوله تعالى : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ .

وبعد هذه المقدمة التي سيبنى على ضوئها الرد على عبد الله الصديق الغماري في نقده لكتاب «الأربعين في دلائل التوحيد» لأبي إسماعيل الهروي . وذلك لأن الهروي اعتمد في كتابه هذا على كتاب الله وسنة رسوله وما أخذ به الصحابة والتابعون والإمام البخاري والأئمة الأربعة، ولم يجاوز الهروي ذلك كما سيجد القاريء ذلك مفصلا :

فإني سوف أحصر الصفات التي ورد اعتراض الناقد على الهروي في إثباتها جملة . ثم أذكر بعد ذلك كل صفة اعترض عليها مفردة مع بيان وجه الاعتراض، ثم أعقب بعد ذلك بأقوال العلماء الذين أثبتوها كما أثبتها الهروي من العلماء القدامى، والمعاصرين الذين أثبتوها وردوا على من أولها بما فيهم أخو المؤلف نفسه أبو الفيض أحمد بن الصديق الغماري عسى أن يقبل نصيحة أخيه لأنه أقرب الناس إليه .

وإليك حصر ما تناوله ـ أبو الفضل عبد الله بن محمد الصديق ـ من مسائل في نقده لكتاب «الأربعين في دلائل التوحيد» لأبي إسماعيل الهروي في كتابه الذي سماه «فتح المعين بنقد كتاب الأربعين» والذي جاء في ثمان وأربعين صفحة .

أما ردي عليه فقد سميته «بالفتح المبين في الرد على نقد كتاب الأربعين» .

وقد تناول في كتابه الأمور التالية :

أولا : ما يتعلق بشخص المؤلف .

فقد قال في ص (٣) : ان أبا إسماعيل الهروي وإن كان حافظا إلا أنه ضعيف في العربية وقواعد الاستدلال .

وقال عنه في ص (٤٥) وما بعدها : إنه مجسم ومشبه مستدلا على ذلك بقول السبكى فيه مؤيدا لذلك القول بمؤلفات الهروي وهي : الفاروق، ذم الكلام، كتاب الأربعين هذا .

ولو سألناه : ماذا ورد في هذه الكتب من تجسيم وتشبيه لوجدنا انه ورد فيها إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من صفات الكمال. كما سترى أمثلة ذلك من كتاب الأربعين، التي يسميها الناقد تجسيما وتشبيهاً .

ولا يدرى انه يطعن بهذا الكلام في كتاب الله لأن هذه الصفات وردت فيه. وفي سنة رسول الله الصحيحة لأن الرسول ﷺ هو قال ذلك، وسيأتي تفصيل هذا في موضعه . . .

ثانيا : حين شرع في نقد الكتاب من ص (٦) :

أورد الأبواب التي يرى أنها مجال للنقاش من كتاب «الأربعين للهروي» والتي أورد المؤلف تحتها تلك الآيات والأحاديث وقال الناقد إن ذلك العمل من المؤلف يدل على ضعفه في اللغة العربية وقواعد الاستدلال، كما سبقت الإشارة لذلك .

وحيث إن المؤلف الهروي قد اشترك مع الإمام البخاري في استدلاله بهذه الأحاديث في كتابه الصحيح في «كتاب التوحيد» منه بل وفي أبواب اتفقا على عناوينها وإيراد الأحاديث المنتقد الاستدلال بها تحت تلك الأبواب نفسها ولم يجرؤ الناقد أن ينقد البخاري. ولذا فإنني سوف أورد هنا العنوان الذي ذكره المؤلف والحديث الذي استدل به وطعن فيه الناقد . ثم اتبعه بالعنوان الذي ذكره البخاري في كتابه الصحيح واستدل بالحديث نفسه الذي انتقده على المؤلف. مقارناً بين العناوين باختصار ثم نعودُ لذكرها مفصلة .

١ ـ ذكر الأبواب التي انتقدها عبد الله الصديق على الهروي إجمالاً .

وهذه الأبواب التي انتقدها عبد الله الصديق على المؤلف الهروي هي :

١ ـ باب (إيجاب قبول صفة الله تعالى) ص (٦) :

أورد المؤلف تحته حديث عبد الله بن مسعود الذي أورده البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه فتح الباري (١٣/٣٩٢ ح٧٤١٤) تحت باب قول الله تعالى : ﴿لما خلقت بيدي﴾ ولفظه : ان يهوديا جاء إلى النبي ﷺ فقال : يامحمد ان الله يمسك السموات على أصبع . . . الحديث .

٢ ـ باب (الرد على من رأى كتمان أحاديث صفات الله تعالى) ص (٨) .

٣ ـ باب (ان الله تبارك وتقدس وتعالى شيء) ص (١٢) :

وقال البخاري في كتاب التوحيد فتح الباري (١٣/٤٠٢) باب **﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله﴾** .

٤ ـ باب (بيان ان الله عز وجل شخص) :

أورد تحته حديث سعد في الغيرة في صحيح البخاري قال النبي ﷺ : «أنا أغير من سعد، والله أغير مني . . . ولا شخص أغير من الله عز وجل»، وقال البخاري في التوحيد فتح الباري (١٣/٣٩٩ ح) باب قول النبي ﷺ : «لا شخص أغير من الله» . وأورد تحته نفس الحديث الذي استدل به المصنف .

٥ ـ باب (إثبات النفس لله عز وجل) ص (١٥) :

أورد الآيات والأحاديث التي استدل بها البخاري . فقد قال البخاري في التوحيد فتح الباري (١٣/٣٨٣) باب قول الله تعالى : **﴿ويحذركم الله نفسه﴾** وقوله جل ذكره : **﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾** وأورد الحديث الذي استدل به المصنف .

٦ ـ باب (الدليل على ان الله في السماء) ص (١٦) :

أورد تحته حديث الجارية الذي رواه مسلم في صحيحه وقول النبي ﷺ للجارية : «أين الله ؟ فقالت : في السماء . . . ـ الحديث ـ فقال اعتقها فإنها مؤمنة» أما الناقد فقد حكم على هذا الحديث بالشذوذ والرد .

— وقال البخاري في كتاب التوحيد في صحيحه فتح الباري (١٣/ ٤١٥) باب قول الله تعالى : ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ وقوله جل ذكره : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ . وقال أبو جمرة عن ابن عباس : «بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ فقال لأخيه اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم انه يأتيه الخبر من السماء» الخ . . . وأورد تحت هذا الباب خمسة أحاديث سيأتي ذكرها عند التفصيل .

٧ ـ باب (وضع الله عز وجل قدمه على الكرسي) ص (١٨) :

أورد المصنف تحته ما روى عن ابن عباس قال : إن الكرسي موضع القدمين والعرش «لا يقدر أحد قدره» .

٨ ـ باب (إثبات الحد لله عز وجل) ص (١٩) :

أورد تحته حديث أبي هريرة في صحيح مسلم : «أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء» وغرض المؤلف : الرد على الحلولية من الصوفية وغيرهم الذين يقولون بوحدة الوجود ، وان الله مختلط بالعالم تعالى الله عن ذلك. فأراد أن يبين أن النصوص تثبت أن الله مباين للعالم . . . كما سيأتي توضيح ذلك .

ومثله :

٩ ـ باب (إثبات الجهات لله عز وجل) ص (٢١) :

أورد تحته حديث عبد الله بن عمر الذي رواه مسلم . ولفظه : ان

المقسطين على منابر من النور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين» وحيث إن الناقد لم يفهم من لفظ الحديث إلا ما يتصور في المخلوقين ولا يريد إثبات العلو لله ـ فقال : إن الحديث لا يدل على إثبات الجهة لله . . . الخ كما سيأتي توضيح ذلك .

١٠ ـ باب (إثبات الصورة له عز وجل) ص (٢٢) :

أورد المؤلف تحته حديث «خلق الله آدم على صورته ـ وسنورد كلام الناقد وما قاله العلماء في شرح هذا الحديث .

١١ ـ باب (إثبات العينين له تعالى وتقدس) ص (٢٤) :

أورد تحته حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : «ما من نبي إلا وقد أنذر الأعور الكذاب . . . » ـ الحديث .

وقال البخاري في فتح الباري (١٣ / ٣٨٩) باب قول الله تعالى : ﴿**ولتصنع على عيني**﴾ وقوله : ﴿**تجرى بأعيننا**﴾ ، وأورد تحته الحديث الذي أورده المصنف .

١٢ ـ باب (إثبات السمع والبصر لله عز وجل) ص (٢٥) :

وقال البخاري في فتح الباري (١٣/ ٣٧٢) باب ﴿**وكان الله سميعا بصيرا**﴾ .

١٣ ـ باب (إثبات اليدين لله عز وجل) ص (٢٦) :

أورد المصنف تحت هذا الباب حديثا منكرا وقد نبهت عليه وبينت أن في الآيات والأحاديث الصحيحة ما يغنى في هذا الباب عن الأحاديث المنكرة والضعيفة .

١٤ ـ باب (خلق الله الفردوس بيده) ص (٢٦) :

أورد المؤلف قوله تعالى : ﴿**ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**﴾ وأحاديث في هذا الباب .

وغرض المؤلف في هذا الفصل والفصول الثلاثة بعده إثبات صفة اليد لله عزوجل كما في الآية الكريمة والأحاديث الصحيحة. إلا أن الناقد يقول : إن هذا تشبيه كما سيأتي تفصيل ذلك .

١٥ ـ باب (إثبات الخط لله عز وجل) ص (٢٨) :

أورد تحته حديث أبي هريرة في الصحيحين في محاجة موسى وآدم عليهما السلام وفيه : «وخط لك التوراة بيده» وغرضه إثبات صفة اليد ـ كما سيأتي تفصيل ذلك إلا أن الناقد لم يفهم هذا .

١٦ ـ باب (أخذ الله صدقة المؤمن بيده) ص (٢٩) :

أورد تحته حديث ابن مسعود : إن الصدقة تقع في يد الله عزوجل قبل أن تقع في يد السائل .

١٧ ـ باب (إثبات الأصابع لله عز وجل» ص (٣٠) :

أورد تحته حديث الحبر ـ الذي جاء إلى رسول الله ﷺ وقال : «يامحمد ان الله يمسك السموات على أصبع» . . . ـ الحديث ـ وقد سبقت الإشارة إلى أن البخاري أورده في كتاب التوحيد .

١٨ ـ باب (إثبات الضحك لله عز وجل) ص ٣٢ :

أورد تحته حديث أبي هريرة في صحيح البخاري : «ضحك الله إلى رجلين قتل أحدهما صاحبه ثم دخلا الجنة» .

١٩ ـ باب (إثبات القدم لله عز وجل) ص (٣٤) :

أورد تحته الحديث الذي رواه البخاري : «يلقى في النار وتقول هل من مزيد» .

٢٠ ـ باب (الدليل على أن القدم هي الرجل) ص (٣٥) :

أورد تحته حديث أنس في صحيح البخاري : «يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع رجله فتقول قط قط» .

٢١ - باب (إثبات الهرولة لله عز وجل) ص (٣٧) :

أورد تحته حديث أبي هريرة عند البخاري : «أنا عند ظن عبدي بي» ومقصود المؤلف إثبات الأفعال الاختيارية لله تعالى ، مثل حديث النزول، وأن الله يفعل ما يشاء كما سيأتي توضيحه إلا أن الناقد لم يفهم إلا التشبيه الذي قام في مخيلته .

٢٢ - باب (إثبات نزوله إلى سماء الدنيا) ص (٣٨) :

أورد تحته حديث رفاعة الجهني مرفوعا «إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادي غيري» . . . الحديث.

٢٣ - باب (إثبات رؤيتهم إياه عز وجل في الجنة) ص (٤١) :

هذه الأبواب التي اختارها الناقد من كتاب الأربعين .

ثم قال : خاتمة فيها مسائل منها ص (٤٢ - ٤٨)، (٥١) :

إن مؤلف كتاب الأربعين مجسم ومشبه وصفه بذلك التاج السبكي . . . الخ ص (٤٥) ثم قال : تم تحريرا عشية يوم السبت الموافق ثامن ربيع الأول سنة ١٤٠٥هـ.

والحمد لله أولا وآخرا . . .

وبعد ذكر الأبواب المنتقدة جملة نبدأ الآن بالتفصيل بذكرها باباً باباً مع ذكر وجه اعتراض الناقد عبد الله بن محمد الصديق - والرد عليه بالعدل إن شاء الله - لأن الغرض بيان الحق بدليله من الكتاب والسنة، والحق ضالة المؤمن أين وجده أخذه .

وحيث إن هذه الأبواب المنتقدة قد يتصل بعضها ببعض فقد رأيت أنه من المناسب أن أجمع الأبواب المتجانسة في مكان واحد مع ذكر صفحاتها، وذكر الأوجه التي ذكرها الناقد - ثم أعقب عليها بالرد حتى لا

يتكرر الرد مرات، وذلك لاتحاد الموضوع . . . وقد أشار الناقد نفسه لمثل هذا فبعد أن ذكر أوجه الرد على الباب الأول وهو ـ باب إيجاب قبول صفة الله تعالى الذي أورد المؤلف تحته حديث عبد الله بن مسعود عند البخاري والذي جاء فيه قول الحبر : «يامحمد إن الله يضع السموات على أصبع . . . » الحديث. قال في ص (٨) : وسيأتي بقية لهذا البحث في باب إثبات الأصابع لله تعالى .

٢ ـ *الرَّدُّ المُفَصَّلُ عَلَى الشُّبَهِ الَّتِي أَوْرَدَهَا النَّاقِدُ عَلَى تِلْكَ الأَبْوَابِ.*

وأبدأ بالرد المفصل وأطلب العون والتوفيق من الله فأقول :

إن الناقد لكتاب الأربعين بعد أن ذكر أن الهروي وإن كان حافظا فإنه ضعيف في العربية وقواعد الاستدلال .

ذكر مقدمة مختصرة من ص (٥ ـ ٦) قال فيها :

ان الفروع الفقهية المتعلقة بالعبادات والمعاملات مبنية على الظن واليقين فيها قليل. ولذا حصل فيها الخلاف بين الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب وكان فيهم المخطىء والمصيب ولم يضلل أحد منهم مخالفه إذا أخطأ بل يعتقدون انهم جميعا على هدى وسنة وان المخطىء مأجور على اجتهاده .

أقــول : إن هذه القاعدة التي لفقها ـ أبو الفضل ـ لاتهمنا في الموضوع الذي نقصد الرد عليه فيه. ولكنى مع ذلك أنبه القارىء على موضع الخطأ فيها وذلك في الأمور التالية :

أولا : إن العبادات كلها أصولها وفروعها لا يدخلها القياس بالإجماع لأنها توقيفية، فلا يجوز لأحد أن يشرع فيها ما لم يشرعه الله ورسوله لا بزيادة ولا بكيفية، لقوله ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». متفق عليه .

فكونه يقرن العبادات بالمعاملات التي يدخلها القياس خطأ .

ثانيا : قوله : إن الفروع المتعلقة بالعبادات مبنية على الظن ولذلك وقع فيها الخلاف .

أقول : إن هذا الإطلاق لا ينبغي ، إذ ليس هذا هو سبب الخلاف وإنما سببه - اما عدم بلوغ النص أحد الأئمة فيقول بخلافه، أو بلغه من طريق لا يثبت به عنده فلا يقول به ، أو يكون الحديث عنده بطرق متعددة ورواة حفاظ ، ويكون الحديث المخالف له أقل درجة منه ، فيقدم الأقوى ، ويخالفه آخر فيأخذ بالحديث الآخر ، وغير ذلك من الأسباب وقد بين العلماء تلك الأسباب التي أدت للخلاف في هذه المسائل ، كما بينوا أخلاق أولئك العلماء في نظر بعضهم لرأي البعض الآخر واحترام بعضهم بعضا - كما في كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» وقبله الإمام ابن حزم في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام» - الجزء الثاني ص (١٣٧) - «فصل» في بيان سبب الاختلاف الواقع بين الأئمة في صدر هذه الأمة وقبله الإمام الشافعي في كتابه «اختلاف الحديث» . وإليك الأمثلة التي توضح ذلك :

يقول الإمام الشافعي في كتابه «اختلاف الحديث» وذلك بعد أن أورد الأدلة على حجية خبر الآحاد في شرائع الدين كلها مستدلا بحديث - تحول القبلة - من بيت المقدس إلى البيت الحرام وان أهل قباء أخبرهم واحد فتحولوا وهم راكعون إلى البيت الحرام وقصة أبي طلحة ومن معه في تحريم الخمر ، وبعث الرسول ﷺ بعماله واحدا واحدا ليخبروا الناس بما أخبرهم به رسول الله من شرائع دينهم ، وغير ذلك من الأدلة .

قال في ص (٤٢) وما بعدها : باب القراءة في الصلاة . باب التشهد . باب في الوتر . باب سجود القرآن . باب القصر والإتمام في السفر في الخوف وغير ذلك . باب الخلاف في ذلك .

وفي ص (١٢٦) قال : باب رفع الأيدي في الصلاة .

وفي ص (١٢٧) قال : باب الخلاف في ذلك .

ثم بين أن سبب الخلاف في هذه المسائل هوما ورد في ذلك عن رسول الله ﷺ من الروايات، فإنه قد يبلغ هذا الإمام أو العالم ما لم يبلغ الآخر أويبلغ هذا من وجه لم يثبت عنده، أوأن في المسألة أحاديث أكثر وأقوى سنداً فتقدم، على ما خالفها من الأحاديث ولم يذكر ان سبب الخلاف بينهم لأن **الأدلة ظنية** إطلاقا. وإليك نص قوله في رفع الأيدي في الصلاة قال في ص (١٢٦) قال : حدثنا الربيع ثم ذكر بإسناده عن ابن عمر قال : رأيت النبي ﷺ إذا افتتح الصلاة رفع يديه حتى يحاذى منكبيه وإذا أراد أن يركع وبعدما يرفع رأسه من الركوع، ولا يرفع بين السجدتين .

وبإسناده عن وائل بن حجر قال : رأيت رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة يرفع يديه حذو منكبيه وإذا ركع وبعدما يرفع رأسه قال وائل : ثم أتيتهم في الشتاء فرأيتهم يرفعون أيديهم في البرانس. قال الشافعي : روى هذا الحديث أبو حميد الساعدي في عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ فصدقوه معا .

قال الشافعي : رحمه الله : وبهذا نقول فذكر المواضع الواردة في الحديث .

قال الشافعي رحمه الله : وبهذه الأحاديث تركنا ما خالفها من الأحاديث .

قال الشافعي : لأنها أثبت اسناداً منه وأنها عدد، والعدد أولى بالحفظ من الواحد .

ثم قال : «باب الخلاف فيه» :

حدثنا الربيع قال : قال الشافعي : فخالفنا بعض الناس في رفع

اليدين في الصلاة، فقال : «إذا افتتح الصلاة المصلى رفع يديه حتى يحاذي أذنيه ثم لا يعود يرفعهما في شيء من الصلاة. واحتج بحديث رواه يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء بن عازب قال : رأيت النبي ﷺ إذا افتتح الصلاة يرفع يديه، قال سفيان : ثم قدمت الكوفة فلقيت يزيد بها فسمعته يحدث بهذا وزاد فيه : ثم لا يعود فظننت أنهم لقنوه، قال سفيان : هكذا سمعت يزيد يحدثه هكذا ويزيد فيه : ثم لا يعود.

وهكذا استمر في نقاش هذه المسألة وهو خلاف مبني على اختلاف الروايات وتقديم الراجح منها على قواعد أهل الحديث في الترجيح ولم ترد إشارة إلى أن سبب الخلاف مبني على الظن كما يقول الناقد لأن أحاديث الرفع التي استدل بها الشافعي في صحيح البخاري بل أخرجها الأئمة الستة في كتبهم.

٣ـ بيان عقيدة أهل التأويل في نصوص القرآن وفي المتواتر من السنة.

ولكن هل تعرف أيها القارىء الكريم ـ وأخص الشباب طلاب العلم ـ: ما عقيدة أهل التأويل في نصوص القرآن وفي أحاديث رسول الله ﷺ؟ انهم يصنفونها إلى قسمين :

١ ـ متواتر. / ٢ ـ وآحاد.

وهذا التقسيم يقول به أهل السنة، ولكن كيف الاحتجاج بهما عند المؤوله :

ونبدأ بالمتواتر : فالمتواتر قطعي الثبوت، مثل القرآن وكذلك الأحاديث المتواترة، لكنهم يقولون : ان ثبوتهما وإن كان قطعياً إلا أن دلالتهما ظنية لأنه يدخلها احتمال المجاز والتأويل، واعلم أن أحاديث الصحيحين المتلقاة من الأمة بالقبول، يدخل أكثرها في القسم الثاني الذي هو الآحاد.

٢ ـ لأن الآحاد : يشمل المشهور وهو ما رواه ثلاثة فأكثر إلى

دون حدّ التواتر، والعزيز والفرد، فهذه كلها أخبار آحاد . فما حكم ثبوتها ودلالتها عند أهل التأويل .

الجـواب : انهم يقولون أن ثبوتها ظني - أي هل قالها رسول الله أو لا . فمن باب أولى دلالتها .

ومن هنـا قالـوا لا يحتـج بها في العقائد - مع العلم انهم لم يحتجوا في العقائد بالمتواتر، لا بالقرآن ولا بالسنة - لأن دلالتهما ظنية لا يثبت بها يقين مادام دخلهـا المجـاز والتأويـل، وهـذا هو الـذي يقـول به المؤلف وإليك القواعد التي قعدها ليبني عليها هدم الاحتجاج بالمقطوع به من الكتاب والسنة .

٤ - قواعد أهل التأويل بيت لهدم الاحتجاج بالقرآن والمتواتر من السنة .

فيقول في المقدمة بعد القاعدة السابقة :

- أما التوحيد فالأمر فيه يختلف، لأن اليقين في مسائله مطلوب حتما خصوصا ما يتعلق بصفات الله تعالى . ولا يجوز أن نثبت له صفة إلا بشروط :

أحدهـا : أن يثبت التصريح بها في آية أو حديث مقطوع به .

ثانيها : أن لا يدخلها احتمال المجاز أو التأويل .

ثالثها : أن لا يكون من تصرف الراوي إذا جاءت في حديث .

والجـواب : أن القـاعـدة عنـد أهـل السنـة والجـماعة في مسائل العقيدة عموماً وفي الأسماء والصفات انهم لا يصفون الله إلا بما وصف به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله ﷺ في سنته الصحيحة فالمدار على ثبوت النص عن رسـول الله ﷺ . وهـذا ما صنعـه الهـروي في كتـابـه هذا كما سيجـد القاريء ذلك .

أما شروط الناقد : فشرطه الأول : وهو ثبوت التصريح بالصفة في

الآيـة فأهـل السنـة يقولون بذلك فلا يصفونه تعالى من عند أنفسهم لأن صفات الله توقيفية .

كما انهم لا يثبتون له صفة إلا بما ثبتت صحته عن رسول الله ﷺ، فكل صفة وردت في حديث رواه البخاري أو مسلم لا يترددون في إثباتها لأن الصحيحين تلقتهما الأمة بالقبول ـ فلا يردون ما فيهما في باب العقائد كما يصنع المؤولـة وتبعهم النـاقـد بنـاء على أن أخبار الآحاد لا تثبت بها عقيـدة ـ ونحن نعلم أن الأحـاد يشمـل المشهـور والعزيز والفرد وأحاديث الصحيحين فيهما المتواتر والمشهور والعزيز، والمشهور ما رواه ثلاثة فأكثر .

ثم يثبتون كل صفة وردت في أحاديث غير الصحيحين إن صحت فالمـدار على صحـة ذلـك الحـديث فكل حديث ثبت عن رسول الله ﷺ يقولون به .

ولكن ننظـر للشـرط الأول للناقد هل التزم به، فأثبت لله الصفات التي ورد التصريح بها في القرآن، والحديث المتواتر الذي يعبر عنه بالمقطوع به. ان النـاقـد هدم الشـرط الأول بالشـرطين التـاليـين فلم يثبت لله صفةوردت في آية أو حديث، فنجده يقول في الآية التي ترد فيها الصفة ـ انهـا تحتمـل التأويـل والمجاز. وفي الحديث يقول هذا من تصرف الراوي لأنـه قال في الشـرط الثـاني : أن لا يدخلهـا احتمال المجـاز والتأويـل، والثـالث : ألا يكـون من تصـرف الـراوي. إذا جاءت في حديث فطبق هذين الشرطين على كل الآيات والأحاديث التي استدل بها الهروي وقبله الإمام البخاري .

ولـذا نجـده حينما يستدل الهروي بآية من كتاب الله على صفة من صفاته تعالى يردها أبو الفضل عبد الله بالتأويل والمجاز .

وإن استدل بحديث في صحيح البخاري ومسلم ـ ردّه إما بدعوى أنه من تصرف الراوي ـ وإما بأنه شاذ مردود ولو رواه مسلم .

ولماذا لأن القاعدة عند أصحاب التأويل ـ أن الأصل هو العقل لا النقـــل فإذا ورد نص في كتـــاب الله يثبت الله به لنفســه وصْفَ كَمالٍ ، أوْ ورَدت الصفـة في حديث صحيـح مقطـوع بصحته كما شرط الناقد عُرِضَ ذلك النص من الكتاب والسنة على عقل المؤول فإن قبله أمضاه ، وإن لم يقبله ردّه ـ لأنــه هو الحكم عنـد الاختـلاف ، وعقـول المؤولـة كثـيرة ـ فالجهمي له عقـل ، والمعتـزلي له عقـل ، والأشعـري له عقـل وكل واحد يقول : عقلي أولى بالمعرفة من عقلك .

أمّا الرد إلى قوله تعالى : ﴿ . . . **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسـول إن كنتم تؤمنـون بالله وبـاليـوم الآخر** . . ﴾ فلا يسوغ لأن دلالة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية دلالات لفظية لا يثبت بها يقين .

وعبـد الله أبـو الفضل يقول بقول هؤلاء . لأنه بعد أن ذكر الشرط **الأول** ـ وهــو أن لا يثبت لله صفــة إلا بآيــة صريحـة أو حديث مقطـوع بصحتـه . نقض هذا الشـرط في نفس الـوقت بالشـرطـين التـاليـين وهما **الثاني** : أن لا يدخلها احتمال المجاز والتأويل . **الثالث** : أن لا يكون من تصـرف الـراوي ، ومن هنـا ستجد أن كل الآيات التي استدل بها الهروي وقد سبقه البخاري وغيره في الاستدلال بها ـ قال عنها أبو الفضل عبد الله انهـا مجاز ومؤولـة . والأحـاديث التي استـدل بها وسبقـه البخاري أيضاً ـ **قال** : انها من تصرف الراوي . فلم يبق نص واحد يصلح للاستدلال لا من الكتـاب ولا من السنـة وهذا الذي سيجده القاريء في هذا الكتاب ، والله المستعان .

٢ ـ الأبواب المتشابهة :

اسم الباب	رقم الباب في الرد	الصفحة	رقمه في كتاب الأربعين	الصفحة
١ ـ (باب إيجاب قبول صفة الله تعالى من كافة الخلق)	١	٦	٤	٤٥
٢ ـ (باب إثبات اليدين لله)	١٣	٢٦	٢١	٦٧
٣ ـ (باب خلق الله الفردوس بيده)	١٤	٢٦	٢٣	٧١
٤ ـ (باب إثبات الخط لله عزوجل)	١٥	٢٨	٢٤	٧٣
٥ ـ (باب أخذ الله صدقة المؤمن بيده)	١٦	٢٩	٢٥	٧٤
٦ ـ (باب إثبات الأصابع لله عزوجل)	١٧	٣٠	٢٦	٧٥

ان هذه الأبواب كلها وما ورد تحتها من أدلة تدور لإثبات صفة اليدين لله تعالى كما قال تعالى رداً على اليهود الذين لم ينكروا صفة اليدين وإنما وصفوهما بما لا يليق كما في قوله تعالى : **﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء . . .﴾**[1] .

وقوله تعالى موبخا ابليس حين امتنع عن السجود لآدم : **﴿ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى﴾** .

وقد ترك الناقد (باب خلق الله آدم عليه السلام بيده) ورقمه (٢٢) وأخذ الباب قبله ورقمه (٢١) والذي بعده ورقمه (٢٣) كما يرى القارىء ذلك في أرقام الأبواب السابقة في كتاب الأربعين وسيظهر الغرض عند ذكر التفصيل لأوجه النقد عنده .

(١) المائدة / ٦٤ .

الباب الأول : (باب إيجاب قبول صفة الله تعالى) :

رقمه في كتاب الرد	رقمه في كتاب الأربعين
١ / ٦	٤ / ص ٤٥

قال الناقد روى - أي الهروي - بإسناده عن أبي عبيدة عن عبد الله قال : جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال : يامحمد ان الله يضع السموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال على أصبع، والثرى على أصبع، ثم يقول : أنا الملك، قال : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ زاد فضيل : فضحك تعجبا وتصديقا له[1] .

ثم رد الناقد على هذا الاستدلال بقوله : **قلت** : استدل على أن الأصبع صفة لله تعالى، بأن النبي ﷺ **أقر** اليهودي على ما قال، وبأن في بعض طرق الحديث زيادة : تعجبا وتصديقا له .

قال : وهذا لا يكفي أبداً في إثبات صفة لله تعالى واعتقادها كما يعتقد غيرها الثابت بطريق اليقين .

ثم قال : وإليك البيان :

أولا : تقرير النبي ﷺ حجة إذا كان تقريرا لمسلم، اما غير المسلم فلا. ثم نقل نصاً من إرشاد الفحول للشوكاني يستدل به على رأيه .

ثانيا : ان ضحك النبي ﷺ ليس نصا في تصديق اليهودي كما فهم

---

(١) تخريج الحديث. خ/ التوحيد/ باب قول الله تعالى «لما خلقت بيدى» فتح البارى ١٣/ ٣٩٣ح ٧٤١٤، ٧٤٥١، ٧٥١٣.

./ التفسير/ باب وما قدروا الله حق قدره/ فتح البارى ٨/ ٧٥٠ ح٤٨١١.

م/ صفات المنافقين، ٤/ ٢١٤٧ ح١٩، ٢٠. البيهقى فى الاسماء والصفات ص٣٣٥.

ت/ التفسير/ سورة الزمر/ تحفة الاحوذى ٩/١١٢ - ١١٤ ح٢٢٩١. ابن خزيمه فى التوحيد ص٧٧.

الراوي[1]، بل يحتمل الإنكار، وتلاوة الآية أولى بالدلالة على الإنكار، لأن الآية لا ذكر فيها للأصابع .

وإذا احتمل الدليل الوجهين سقط به الاستدلال .

ثالثا : ان الأصابع لم تأت في خبر مقطوع به .

رابعا : أنها لم تخل من تأويل صحيح موافق للغة العربية .

قال : وقال الخطابي : ولعل !! ذكر الأصابع من تخليط اليهودي فإن اليهود مشبهة . هذا ما أورده الناقد من اعتراضات على هذا الباب لرد هذا الحديث الثابت في أصح كتاب بعد كتاب الله وهو صحيح البخاري .

الباب الثاني : وهو الباب السابع عشر في كتاب الرد ص (٣٠) متصل بهذا الباب وهو في الأربعين السادس والعشرين ص (٧٥) وعنوانه : (**باب إثبات الأصابع لله عز وجل**) :

فمن المناسب إضافته هنا ثم إيراد كلام الناقد، ثم نتبعه بالرد.

قال الناقد : وروى ـ أيْ الهروي ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : «دعوة كان رسول الله ﷺ يكثر أن يدعو بها : **يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» . قالت عائشة : «يارسول الله دعوة أراك تكثر أن تدعو بها ؟ قال : ما من آدمي إلا وقلبه **بين إصبعين من أصابع الرحمن** عز وجل ، فإذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه» .

قال الناقد : تقدم أن الأصابع لم تأت في خبر مقطوع به. فلا تنسب صفة لله تعالى ، ثم هي مؤولة) .

قلت : يعنى بذلك ما ورد في الباب الأول وهو «باب إيجاب قبول

ابن منده فى الرد على الجهمية ص٨٤ ح٦٤ .

(١) الراوى هو عبد الله بن مسعود أحد فقهاء الصحابة .

صفة الله تعالى» وأورد المؤلف تحته حديث عبد الله بن مسعود الذي رواه البخاري. ولفظه جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: يامحمد انّ الله يضع السموات على أصبع... الحديث. وأما رده على الحديث هنا فكأنه مسلم لقبول الحديث وأنه مقطوع به لأنه ليس تقريرا لكافر وإنما هو ابتداء من رسول الله ﷺ لعائشة حين سألته عن قوله: يامقلب القلوب... الخ. ولذا نجده يرده بالتأويل، ولم يدع ان ثبوته غير مقطوع به كما سبق في حديث عبد الله بن مسعود فيؤوله بقوله بين أصبعين: أي بين تدبيرين. **والأصبع في اللغة**: النعمة. وقلب كل أحد بين **توفيق الله وجلاله**. هكذا نقل عن ابن حزم ونقل عن غيره: تأويل الأصبع ـ انه تحت قدرته وملكه.

قال: **ويحتمل انها نعمتا النفع والدفع**. أو بين **أثريه** في الفضل والعدل. **قال**: وإنما ثنى لفظ الأصبعين والقدرة واحدة، لأنه جرى على المعهود من لفظ المثل ثم أضاف تأويلات أخرى...

إلى أن قال: وقال ابن بطال: لا يحمل ذكر الأصابع على الجارحة بل يحمل على انه صفة من صفات الذات لا تكيف ولا تحدد وهذا ينسب إلى الأشعري ووافقه ابن التين.

ثم عاد لنقل ما سبق عن الخطابي من ذكر التأويل للأصابع وانها لم تذكر في القرآن ولا في حديث مقطوع به قال: وقد تقرر أن اليد ليست بجارحة حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الأصابع، بل هو توقيف أطلقه الشارع، فلا يكيف ولا يشبه.

ثم عاد للطعن في الزيادة الواردة في حديث عبد الله بن مسعود وهو قوله: فضحك رسول الله ﷺ تعجبا وتصديقا له. فقال مسندا ذلك إلى الخطابي مستدلا به على رأيه: وهو إن ضحكه ﷺ يحتمل الرضى والإنكار.

قال : وقول الراوى : تصديقا له، ظن وحسبان. وان الحديث روى من طرق ليس فيها هذه الزيادة .

قال : وعلى تقدير أن يكون ذلك محفوظا فهو محمول على تأويل قوله تعالى : ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ أي بقدرته .

وبعد أن أكثر من هذه التأويلات المنهارة أمام النصوص، بدأ يضعف. فيقول : والخطابي لم ينكر[1] ورود الأصابع في حديث، وإنما أنكر أن الحديث مقطوع به. إلى أن قال : والمقصود أن ذكر الأصابع صفة لله تعالى، ليس متفقا عليه مع احتماله التأويل .

ثم ختم نقده بقوله : والهروي متساهل في إثبات الصفات بمجرد ورودها في الحديث... الخ. ص (٣٢).

هذه جملة التأويلات التي أوردها الناقد لرد هذا النص الذي أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : ﴿لما خلقت بيدى﴾ كما سيأتي .

ونبدأ الأن بمناقشة تلك الأوجه التي أوردها لرد الاستدلال بحديث عبد الله بن مسعود. **قوله** : ان تقرير النبي ﷺ لا يكون حجة إلا إذا كان تقريرا لمسلم، كما هو في الأصول ثم نقل النص عن الشوكاني من إرشاد الفحول .

الجواب : ان هذا القول غير متفق عليه عند أهل الأصول لأنه يصادم نصوصا صريحة ولذا نجد تعريف الإقرار عند أبي يعلى في كتاب العدة (١/١٢٧-١٢٨) يخالف ما نقله عن الشوكاني، فيقول : «وقد يقع من النبي ﷺ بيان الحكم بالإقرار غلى فعل شاهده من فاعل يفعله على وجه من الوجوه فترك النكير عليه فيكون ذلك بيانا في جواز فعل ذلك

(١) في فتح البارى ١٣/٤٧٧ يقول ابن حجر: كلام الخطابي فيه انكار تارة وتأويل أخرى.

الشيء على الوجه الذي أقره عليه، أو وجوبه إن كان شاهده يفعله على وجهه ولم ينكره، **لأنه لا يجوز على النبي ﷺ ان يرى منكرا فلا ينكره إذ** كان ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وله الحظ الأوفر من ذلك.

إلى أن قال : واليهود والنصاري لم يقرهم على كفرهم بل قاتلهم حتى يعطوا الجزية، وفرض عليهم الجزية، فجعل أخذ الجزية عقوبة لهم على إقرارهم على الكفر، ولأن ترك الإنكار يؤدي إلى اسقاط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد قال ﷺ : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه. . . الحديث.

هذا ما ذكره أبو يعلى في تعريف الإقرار ويؤيد قوله : أن رسول الله ﷺ، رسول الله حقاً وهو المشرع لأمته لأنه لا ينطق عن الهوى، وبالإجماع انه لا يقر أحداً على خطأ، وكيف يتصور ذلك مسلم وأمر العقيدة هو صلب الرسالة، فلو كان هذا الأمر الذي ورد على لسان الحبر أمر باطل لا يجوز لمسلم اعتقاده، لما أقره عليه رسول الله ﷺ ولرد قوله وأعلنه للصحابة حتى لا يقعوا في اعتقاد باطل، ومما يدل على صحة قولنا أن الصحابي الجليل ابن مسعود أحد فقهاء الصحابة قد فهم ذلك من حال رسول الله ﷺ يوضح ذلك أنه حينما يحدث عن المصطفى ﷺ أمر في دين الله باجتهاد منه والله لا يرضاه. فإن الله تعالى لا يقره عليه بل ينبهه على ذلك الأمر لأنه من تمام ابلاغ الرسالة وأمثلة ذلك كثيرة.

ففي غزوة بدر لما قبل رسول الله ﷺ رأي أبي بكر في أخذ الفدية من أسارى بدر فنزل قوله تعالى : **﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾**(1) ولهذا قال ﷺ : لو نزل عذاب لم ينج منه إلا عمر، وفي إذنه للمنافقين قال الله له : **﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾**(2).

---

(1) الأنفال / ٦٨.

(2) التوبة / ٤٣.

بل وحينما صلى وفي نعله نجاسة جاءه الوحي في أثناء صلاته فخلع نعله[1].

أفيعقل أن تكون قضية متعلقة بصفة من صفات الله تعالى يحدث فيها تخليط من اليهودي كما يقول الناقد نقلا عن الخطابي . ويسكت الرسول ﷺ عن ذلك ولا ينبه أصحابه حتى يقعوا في ذلك الاعتقاد الفاسد حسب رأيه ؟

ثم ان الله جلت قدرته لا ينبه رسوله ﷺ على ذلك وقد نبهه حين صلى في نعله، وفيها نجاسة، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ثم يستمر في أوجه الرد - فيتهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه راوي الحديث في فهمه ومعلوم ان ابن مسعود من فقهاء الصحابة، فيقول نقلا عن الخطابي : **ان ضحك النبي ﷺ ليس نصا في تصديق اليهودي كما فهم الراوي، بل يحتمل الإنكار لأنّ الآية لا ذكر فيها للأصابع** . وقول الراوي تصديقا له : (ظن وحسبان) .

ثم قال : ان الأصابع لم تأت في خبر مقطوع به وانها لم تخل من تأويل صحيح موافق للغة العرب .

وقال الخطابي : ولعلّ ذكر الأصابع من تخليط اليهودي فإن اليهود مشبهة .

والجواب : على هذا ان فهم الصحابي الحاضر للقصة، والمؤيد فهمه بالنصوص من الكتاب والسنة أولى بالصواب من هذه التخرصات، بالاحتمال، وبلعلّ، ولم تخل من تأويل . . . الخ .

فإن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى : **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** لإثبات تلك الصفة . ومما يؤيد فهم الصحابي : ما جاء في الباب السابع

(١) مسند الإمام أحمد ٣/ ٢٠، ٩٢ من حديث أبي سعيد الخدري.
وأبو داود / الصلاة / باب الصلاة في النعل ١/ ٤٢٦ ح ٦٥٠ .

عشر من كتاب الرد ص (٣٠) وعنوانه : (باب إثبات الأصابع لله عز وجل) الذي سبق ذكره وأورد فيه حديث عائشة : ان رسول الله ﷺ كان يدعو : «يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» قالت عائشة : يارسول الله دعوة أراك تكثر ان تدعو بها ؟ قال : «ما من آدمى إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل. الحديث .

فهذا قول الرسول ﷺ ـ وسنته ـ **إما قول، أو فعل، أو تقرير**. وقد سبق اعتراض الناقد على التقرير. فماذا يقول في **هذا القول**. أيستطيع أن يقول ان هذا القول تخليط كما قال في الحديث السابق ولعل ذكر الأصابع من تخليط اليهودي . . . الخ. فهل هذا تخليط من المعصوم ﷺ قطعا إنه لا يستطيع أن يقول ذلك .

ولهذا حينما أورد نقده للباب السابع عشر هذا الذي أورد المؤلف تحته حديث عائشة المشار إليه، نجده يعود لذكر التأويلات التي سبق ذكرها، ولم يورد مسألة التخليط وإنما لجأ للتأويل لصفة اليد، فذكر أن الأصابع مؤلة في اللغة ـ بالنعمة أو القدرة والملك. قال ويحتمل انها نعمتا الدفع والنفع . . . الخ.

والجواب : أن الأصبع واليد لا تعرف في اللغة ـ بمعنى النعمة عند الإسناد، ولهذا قال أبو الحسن الأشعري في رده على من أول اليد بالنعمة قال : «وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل : عملت كذا بيدي، ويعني به النعمة»[1].

٥ـ الرَّدُّ عِندَ أَهلِ التَّأوِيلِ فِي حَالِ الاختِلافِ إِلَى العَقلِ ـ لا إِلَى قَولِهِ تَعَالَى: فَإِن تَنَازَعتُم فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ .. الآية

أما تلك التأويلات الكثيرة فهي دليل واضح على تخبط من ترك نصوص الكتاب والسنة ومذهب سلف الأمة من صحابة وتابعين، ولجأ لتحكيم عقله ولكثرة العقول وجد ذلك الاختلاف لأن العقل غير معصوم ولهذا نجد الناقد ينقل ما ينقض عليه رأيه السابق فقد قال : وقال ابن

(١) الإبانه للأشعرى ص٩٨.

بطال : لا يحمل ذكر الأصابع على الجارحة، بل يحمل على انه صفة من صفات الذات لا تكيف ولا تحدد، وهذا ينسب إلى الأشعري ووافقه ابن التين» **قلت** : إن هذا النص عن ابن بطال : ينقض كل التأويلات التي ذكرها التأويل بالنعمة، أو بالقدرة، أو بالملك ويثبت الأصابع صفة لله لا تكيف وهذا ما يقوله السلف. ولم يَفْهم من صفات الله ـ الجارحة ـ إلا المؤولة، ولذلك انتقلوا إلى التعطيل بعد قيام التشبيه في أذهانهم، **اما قوله** : لا يحمل ذكر الأصابع على الجارحة .

فهذه هي المشكلة التي أوقعت المؤولة في تحريف النصوص وتعطيلها. ومتى قال الهروي أو غيره من أهل السنة انها تحمل على الجارحة ؟ .

إن الجهمية والمعتزلة، لم يفهموا من هذه النصوص التي أثبت الله فيها لنفسه صفات الكمال والجلال، وأثبتها له رسوله ﷺ. وتبعه الصحابة ومن تبعهم بإحسان، لم يفهموا منها إلا ما فهموه من صفات المخلوق لأنهم يقيسون الغائب على الشاهد. ففهموا من اليد، والأصابع، والوجه . . . الخ. ما هو في المخلوق من الجوارح ولذلك انتقلوا إلى تعطيل هذه النصوص، اما بجحدها وإنكارها بناء على انها وردت في أخبار آحاد. واما بتأويلها إذا وردت في القرآن، والأحاديث المتواترة .

وأهل السنة يثبتون ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ـ من غير تشبيه ـ ولا تكييف، ولا تمثيل ولا تعطيل. فلا يثبتون ما توهمه هؤلاء المعطلة، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

وقد أشار الناقد إلى أن إثبات الأصابع صفة من صفات الذات لا تكيف منسوب إلى الأشعري. **قلت** : سبق نقل كلام أبي الحسن الأشعري، وهو سلفي المعتقد بعد رجوعه عن الاعتزال والمذهب الكلابي كما في الإبانة .

٦- جمع الأبواب المتماثلة، والرد على شبه الناقد.

ومما يتصل بهذين البابين الأبواب التالية :

الباب الثالث عشر وهو في الرد ص (٢٦)، وفي الأربعين الحادي والعشرين ص (٦٧) وعنوانه : (باب إثبات اليدين لله) .

والباب الرابع عشر وهو في الرد ص (٢٦) وفي الأربعين الثالث والعشرين ص (٧١) وعنوانه : (باب خلق الله الفردوس بيده) .

والباب الخامس عشر وهو في الرد ص (٢٨) وفي الأربعين الرابع والعشرين ص (٧٣) وعنوانه : (إثبات الخط لله عز وجل) .

والباب السادس عشر وهو في الرد ص (٢٩) وفي الأربعين الخامس والعشرين ص (٧٤) وعنوانه : (باب أخذ الله صدقة المؤمن بيده) .

هذه الأبواب جميعا كما رأيت أوردها المصنف لإثبات صفة اليد لله عز وجل على ما يليق بجلاله وكماله .

ولكن الناقد اعترض عليها وأول النصوص التي استدل بها المصنف سواء كانت آيات قرآنية أو أحاديث نبوية ثابتة أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما فقال : إن إثبات قول رسول الله ﷺ : **ان الله خلق الفردوس بيده**، غلو في الإثبات بدون تعقل. ثم قال : ومثله حديث : **ان الله خلق جنة عدن بيده**، وحديث : **خلق الله آدم بيده**، وقوله تعالى : **﴿يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي﴾**. قال : إن هذه النصوص لا تدل على إثبات الصفة وإنما تدل على العناية والتخصيص، قال وحديث : ابن مسعود : **ان الصدقة تقع في يد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل**، موقوف. فلا حجة فيه.

ومثله حديث عائشة مرفوعا. ثم أورد لفظ حديث عائشة المرفوع، وفيه : **فيتلقاها الرحمن تبارك وتعالى بيده**، وأضاف حديث أبي هريرة في الصحيحين وفيه : **فإن الله يقبلها بيمينه**. ثم أول هذه النصوص كلها بأنها لا تخبر عن يد حقيقة لله تعالى لائقة بكماله وجلاله بل لابد وأن

يكون التعبير باليد مؤولا فتارة يؤول بالقدرة، وتارة بالنعمة، وتارة بالعناية، وكذا ولابد من التأويل قال وإن زعم غلاة المثبتة انه تجهم وبالله التوفيق ص (٢٨).

هذا هو رأي الناقد عبد الله بن محمد الصديق في هذه النصوص.

وفي الرد عليه: نبدأ بقول البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه يقول البخاري: باب قول الله تعالى: لما خلقت بيدى﴾ فتح الباري (١٣/ ٣٩٢) وأورد تحت هذا الباب الأحاديث التالية: حديث أنس رقم (٧٤١٠) مرفوعا في الشفاعة الكبرى وفيه: فيأتون آدم فيقولون: يآدم اما ترى الناس، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته... الحديث.

وحديث أبي هريرة رقم (٧٤١١) مرفوعا: ان رسول الله ﷺ قال: يد الله ملأى لا يغيضها نفقة... الحديث. وفيه: انه لم يغض ما في يده وقال: وعرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع.

وحديث عبد الله بن عمر رقم (٧٤١٢) مرفوعا عن رسول الله ﷺ أنه قال: ان الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السموات مطويات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك.

وحديث عبد الله بن مسعود رقم (٧٤١٤) مرفوعا: ان يهوديا جاء النبي ﷺ فقال: يامحمد ان الله يمسك السماوات على أصبع والأرضين على أصبع. والجبال على أصبع، والشجر على أصبع. والخلائق على أصبع ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾. قال يحيى بن سعيد: وزاد فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله، فضحك رسول الله ﷺ تعجبا وتصديقا له.

هذا هو الحديث الذي استدل به المصنف، ورد عليه عبد الله بن محمد الصديق واتهمه بأنه مشبه. ولم يجرؤ على اتهام البخاري تصريحا

بالتشبيــه . وإذا كان البخـاري استـدل به على إثبـات صفـة اليـدين لله تعـالى ، بعـد ان بوب لذلك بالآية الكريمة التي فيها الزجر والإنكار على ابليس لامتنــاعـه عن السجـود لآدم حيث قال الله له : ﴿مـا منعـك أن تسجـد لما خلقت بيـدى﴾ فما ذنب الهـروي يتهجم عليـه النـاقد ويتهمه بالتشبيه والتجسيم وقد سبقه البخاري لذلك فلماذا لا يوجه نقده وحكمه بالتشبيـه والتجسيم للبخـاري مع العلم أن الناقد رجع للبخاري وشرحه فتـح البـاري لهذا الحـديث ثم نقل من الشرح ما يريد ، وترك ما يردّ على رأيــه وإليــك كلام ابن حجــر في شرح هذا الحـديث من فتـح البـاري (١٣/٣٩٣-٣٩٤) فبعـد أن نقـل كلام ابن بطال الذي ذكر الناقد فيه ما يريد من أنه قال في هذه الآية : ﴿لما خلقت بيدى﴾ إثبات يدين لله وهما صفتـان من صفـات ذاتـه وليستـا بجـارحتـين خلافـا للمشبهة من المثبتة وللجهميــة من المعطلة . . . قال : ويـدل على ان اليـدين ليستـا بمعنى القـدرة ، أن في قولـه تعـالى لابليس : ﴿مـا منعـك ان تسجد لما خلقت بيـدى﴾ إشـارة إلى المعنى الـذي أوجب السجود ، فلو كانت اليد بمعنى القـدرة لم يكن بين آدم وابليس فرق لتشـاركهـما فيما خلق كل منهما به وهي قدرتـه ، ولقـال ابليس وأي فضيلة له عليّ وأنا خلقتني بقدرتك كما خلقته بقــدرتــك ، فلما قال : ﴿خـلقتنى من نار وخلقتــه من طين﴾ دلّ على اختصــاص آدم بأن الله خلقـه بيـديـه ، قال : ولا جائـز أن يراد باليـدين النعمتان ، لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق ، لأن النعم مخلوقة ولا يلزم من كونهما صفتي ذات ان يكونا جارحتين .

وقـال ابن التـين قوله : (وبيده الأخرى الميزان) . يدفع تأويل اليد هنا بالقدرة وكذا قوله في حديث ابن عباس رفعه «أول ما خلق الله القلم فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين» الحديث .

فأنت ترى أيها القارىء الكريم ما نقله ابن حجر في شرح الحديث

عن ابن بطال وابن التين من دفع تأويل اليدين بالقدرة أو النعمة . ووجه الرد البين الواضح .

علما بأن الناقد قد اطلع عليه ، ونقل أسطرا من أوله لاتتجاوز ثلاثة ، وترك الباقي من النص لأنه يرد على زيفه وتحريفه لنص القرآن الصريح ، ونص الأحاديث المقطوع بها . وهذه عادة من يتبع هواه - فيجتزىء من النص الذي يريد تشويشا وتمويها على الآخرين والله سيحاسب كل إنسان على عمله .

وإذا تذكرت أيها القارىء الكريم الشروط التي أوردها الناقد في أول صفحة . من انه لا يحتج في الصفات إلا بآية صريحة أوحديث مقطوع به . وتأملت في احتجاج البخاري بهذه الآية والأحاديث في كتابه على إثبات هذه الصفة وتبويبه بنفس الآية التي يؤولها الناقد وعلمت أن صحيح البخاري بإجماع الأمة انه أصح كتاب بعد كتاب الله ، وقد تلقته الأمة بالقبول . وقد تبع البخاري ابن بطال وابن التين وابن حجر الناقل عنهما كما رأيت نقل كلام ابن حجر في شرح الحديث علمت يقيناً أن الناقد لا يستدل في هذا الباب لا بآية صريحة ولا بحديث مقطوع به كما يقول ولا يلقى لنصوص الكتاب والسنة بالاً وإنما يتبع ما قاله المؤولة - وهم الجهمية والمعتزلة - ولهذا يقول بإصرار : فلابد من تأويل اليد بالقدرة ، أو النعمة - وإن قال غلاة المثبتة ان هذا تجهم كما في رده ص (٢٨) .

وإليك ما قاله أبو الحسن الأشعري وغيره من السلف ممن يثبت ان التأويل خروج بالنصوص عما دلت عليه وتحريف لها ، وانه لا يصح ما ادعوه من تأويل اليد بالقدرة أو النعمة لغة [بل إن أخا الناقد أبو الفيض يرد على المؤوله ويصفهم بأنهم اظلم من اليهود اذ أن اليهود أثبتوا لله اليد ووصفوها بالغلول ، اما المؤوله فقد نفوها وسوف ننقل كلامه في ذلك] .

يقول أبو الحسن الأشعري في رده على من أول قوله تعالى : ﴿لما

خلقت بيدى﴾ فلو كان الله عز وجل عنى بقوله ﴿لما خلقت بيدى﴾ القدرة لم يكن لآدم عليه السلام على ابليس في ذلك مزية، والله عز وجل أراد أن يرى فضل آدم عليه السلام إذ خلقه بيده دونه، ولو كان خالقا لإبليس بيديه كما خلق آدم عليه السلام بيديه لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه، وكان ابليس يقول محتجا على ربه فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم بهما، فلما أراد الله عز وجل تفضيله عليه بذلك قال له موبخا على استكباره على آدم أن يسجد له ﴿ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت﴾ دل على انه ليس معنى الآية القدرة إذ كان الله عز وجل خلق الأشياء جميعا بقدرته، وإنما أراد إثبات يدين لم يشارك ابليس آدم في ان خلق بهما»[1].

وقال الأشعري أيضا : (وندين بأن الله تعالى يقلب القلوب «وان القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، وانه سبحانه» يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع. كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ من غير تكييف)[2].

وأود الإشارة هنا إلى معنى إراده المؤلف من عنوانه للباب الخامس عشر وتجاهل الناقد مراد المؤلف منه وهو : (باب إثبات الخط لله عز وجل) :

أورد المؤلف تحت هذا العنوان ما رواه البخاري[3] ومسلم في حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

---

(١) الإبانه للأشعرى ص١٠٠.

(٢) الإبانه للأشعرى ص٢٣.

(٣) تخريج الحديث خ/ القدر/ تحاج آدم وموسى عند الله، فتح البارى ١١/٥٠٥ ح ٦٦١٤ وفيه: وخط لك التوراة بيده.

م/ القدر/ باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ٤/ ٢٠٤٢، ٢٠٤٣ من رواية أبى هريرة وفيه: وخط لك بيده، وفى رواية: كتب لك التوراة بيده ح١٣، ١٥.

جه/ المقدمة/ باب فى القدر ١/٣١ ح٨٠.

السنة/ لابن أبى عاصم ١/٦٦ ح١٤٥.

قال الناقـد : وروى ـ أي المؤلف ـ حديث أبي هريـرة عن النبي ﷺ قال : «احتـج موسى وآدم عليهـما السـلام، فقال موسى : أنت أبونا خيبتنـا واخـرجتنـا من الجنـة، قال آدم : يامـوسى اصطفاك الله عز وجل بكـلامـه وخـط لك التوراة بيده تلومني على أمر قد قدره الله على قبل ان يخلقني بأربعين سنة. فحجّ آدم موسى ثلاثا .

فانطلق الناقد يذكر الروايات التي ورد بها الحديث ـ ليثبت قاعدته السابقة ان الحديث مروي بالمعنى .

وأقـول : قد رأيت أيهـا القـارىء بعض الـروايـات التي أوردهـا البخـاري للاستـدلال بها على إثبات صفة اليد لله عز وجل على ما يليق بجـلالـه. مع الآيـات الكـريمـة. ولكن الناقد قال : فما السر في اختيار المؤلف لفـظ : **خط لك التـوراة** ثم ترك لفظـة (بيـده) فلم يذكرها وهذا دليـل المغـالطة ـ ثم قال : أيريد أن يثبت لله **الخطّ ولا يتم له** لأنه **لا** يقدر أن يجزم بأن هذا لفظ النبي ﷺ. والاجماع على انه لا يوصف بالخط فلا يقال خطاط ولا كاتب . هكذا فهم الناقد من عنوان هذا الباب أو أراد أن يفهم .

وقد سبق أن أشرت إلي أن هذه الأبواب كلها إنما أوردها المصنف لإثبـات صفـة اليـد لله عز وجـل، فهويذكر كل ما يتعلق بهذه الصفة من الأفعـال. ولـذلـك قال : وخط لك التوراة بيده. فترى الناقد يعمد إلى ترك كلمة (يده) فيسقطها ويقتصر على كلمة (خَطّ) ثم يقول : أيريد أن يثبت لله وصفا بأنه خطاط .

والمتصـدى للنقـد إن كان يقصـد الحق فينبغي له أن يفهم أولا ما يريـد أنْ يردَّ عليـه وأنـا لا أشـك أنّ الناقد فهم مقصود المؤلف ولكنه من باب التشـويش على القـراء يعمـل ذلك ـ وإلا لماذا يحذف ـ لفظة (اليد) عنـد رده ويقتصـر على كلمـة (خَـطّ) ونص الحـديث ـ وخَطّ لك التوراة

بيده» وبهذا يتضح للقاريء أن الناقد يتبع هواه لا الدليل، وهكذا يعمل كل من اتبــع هواه، وسيأتي نقـل النص عن أخيـه أبي الفيض أحمـد بن محمـد الصـديق في رده على المؤولـة، فلعله يقبـل نصيحة أخيه أويصدر عليه الحكم بالتشبيه والتجسيم وما يترتب على ذلك من أحكام كما حكم على الهروي .

أمـا قولـه : في حديث أن الصـدقـة تقـع في يد الله عز وجـل . . . الحديث . وانه موقوف على ابن مسعود فلا حجة فيه .

فالجـــواب : ان القـاعـدة عنـد العلماء ـ أن قول الصحـابي إذا لم يكن للرأي فيه مجال ولم يخالفه غيره فإن له حكم الرفع . وهو ينطبق على هذا . ولكن الناقد كما رأينا ـ يرد نص الآية الصريحة في خلق الله آدم بيديه والحديث المرفوع المروي في الصحيحين .

إذاً فلا غرابـــة أن يرد قول الصحـابي . وقـد سبق أنْ ردّ روايتـه في البخاري التي قال فيها في زيادة فضيل فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا . **فقال** : هذا ظن منه وحسبان، مسندا ذلك إلى الخطابي كما في فتح الباري .

ومذهب السلف هو إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ، يقـول البغـوي في شرح السنة (١ /١٦٨) : عند شرح حديث النواس بن سمعـان يقـول سمعت رسـول الله ﷺ يقـول : «ما من قلب إلا وهو بين أصبعـين من أصـابـع رب العـالمين»(١) . . . الحديث . **قال** : «والأصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل، وكذلك كل ما جاء به الكتاب والسنة من هذا القبيل من صفات الله تعالى، كالنفس والوجه، والعـين واليـد وبعـد سرده لعـدد من الصفات والآيات والأحاديث الدالة

(١) قال المحقق: إسناده صحيح ورواه أحمد في المسند ٤ /١٨٢ .

عليهـا قال في ص (١٧٠) فهـذه ونظـائـرهـا صفـات لله تعـالى، ورد بها السمع يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضا فيها عن التأويل، مجتنبـاً عن التشبيـه، معتقـدا ان الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفـاتـه صفـات الخلق، كما لا تشبـه ذاتـه ذوات الخلق قال الله سبحانه وتعـالى : ﴿ . . . **ليس كمثله شيء وهـو السميـع البصير**﴾. وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيـل والتأويـل. . .) هذه أقوال أئمة السلف السابقين في صفات الله عموما وفي صفة اليد خصوصا .

أمـا المعـاصـرون فقـد رأيت من المنـاسب هنـا أن أقدم للناقد أبي الفضـل عبـد الله بن محمـد هديـة من أخيـه أبي الفيض أحمـد الصـديق الغماري من كتابه (الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد)ورقة ٤٦ آخر الصفحة عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولـة** . . . ﴾[1]. قال : أمـا الأشعـرية فأنكرت ان تكون لله يد بالمرة، فهـم أظلم منهم، وزعمـوا أن من قال لله يد، وعـين، وقـدم، مشبـه ومجسم، وحرفوا معنى قوله تعالى : ﴿**بأعيننا**﴾ وفي ذين ونحوهما بالحفظ والقـدرة ـ قال ـ وهـو خلاف الحق ومذهب السلف، فكانوا في ذلك أعلم من الله الـذي أثبت ذلـك لنفسـه على المعنى الذي أراده، لا على معنى الجـارحـة الـذي فهمـه الأشعـرية وغيرهـم من المؤولة، وضلّ من قال : قدرتاه مبسوطتان . اهـ.

وقـال في ورقـة (٥٩) في تفسـير آيـة الأعراف (٥٤) : ﴿ . . . **ثم استـوى على العـرش** . . . ﴾ استواء يعلمه الله تعالى ويجب علينا الإيمان به وتسليم معناه لله ورسوله، لا استولى كما يقوله الأشعرية المبتدعة تعالى الله عن قولهم ومذهبهم علوا كبيراً .

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٣.

وبهذه الهدية الثمينة اعتقد ان الناقد إذا رجع لكتاب أخيه «الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد». أن يعود إلى الحق لأن هذا هدفه إن شاء الله ويكتب لنا ما يوضح ذلك. والا فحكمه على الهروي بالتشبيه والتجسيم تبعا للسبكي يشمل أخاه أبا الفيض لأنه يثبت لله ما أثبته لنفسه من صفة اليد والعين والقدم، كما وردت في القرآن والسنة الصحيحة، ويقول كما هو نص كلامه : ان الأشعرية تقول من أثبت ذلك فهو مشبه ومجسم. كما انه يثبت صفة الاستواء، ويرد على الأشعرية تأويلهم - بالاستيلاء - ويسميهم مبتدعة كما ترى في نص كلامه .

الباب الثاني في الرد ص (٨) وفي الأربعين الباب الخامس ص (٤٥) عنوانه : باب الرد على من رأى كتمان أحاديث صفات الله عز وجل :

يقول الناقد : وروى - أي الهروي - من طريق الترمذي في سننه عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله عز وجل : ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا﴾ أشار أنس بطرف أصبعه على أول بنان من الخنصر - وكذلك أشار ثابت البناني، فقال له حميد الطويل : ما تريد بهذا ياأبا محمد ؟ فرفع ثابت يده فضرب صدره ضربة شديدة، وقال : من أنت ياحميد وما أنت ياحميد ؟ يحدثني أنس بن مالك عن النبي ﷺ وتقول أنت!! ما تريد بهذا[1]؟اهـ.

---

(١) تخريج الحديث: حم/ ٣/ ١٢٥ من طريق أبي المثنى ثنا معاذ بن معاذ العنبري ثنا حماد بن سلمة به.

• الحاكم فى المستدرك ٢/ ٣٢٠ تفسير سورة الأعراف باسناده وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

• ت/ فى تفسير سورة الأعراف ٨/ ٤٥١.

• ابن جرير فى التفسير ٩/ ٥٣.

• ابن خزيمة فى التوحيد ص١١٣.

يقول الناقد : وأقول : حماد بن سلمة، وإن كان ثقة، فله أوهام، كما قال الذهبي ولم يخرج له البخاري. ثم قال ومن أوهامه ما رواه عن عكرمة عن ابن عباس، مرفوعا ثم أورد الحديث وفيه : رأيت ربي جعدا... الحديث. قال الذهبي في الميزان : فهذا من انكر ما أتى به حماد بن سلمة، وهذه الرؤية رؤية منام إن صحت. هذا ما ذكره الناقد في راوى الحديث حماد بن سلمة.

وأقول : إن وقيعته في حماد بن سلمة : يخشى عليه من قول ابن المدينى : من سمعتموه يتكلم في حماد فاتهموه.

ولذلك فإني ادعو القارىء لقراءة ترجمة حماد بن سلمة في ميزان الاعتدال للذهبي والذي أشار إليه الناقد. يقول الذهبي في الميزان (١ / ٥٩٠) : حماد بن سلمة بن دينار الإمام العلم، أبو سلمة البصري، عن أبي عمرو الجوني، وثابت، وابن أبي مليكة وخلق. وعنه مالك وشعبة وسفيان وابن مهدي، وعارم، وعفان، وأمم، وكان ثقة، له أوهام. قال أحمد : هو أعلم الناس بحديث خاله حميد الطويل، وأثبتهم فيه. وقال ابن معين : هو أعلم الناس بثابت. وقال ابن المبارك : ما رأيت أحدا كان أشبه بمسالك الأول من حماد. وقال ابن معين ثقة. وقال عفان : رأيت من هو أعبد من حماد، لكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير وقراءة القرآن والعمل لله منه. وقال وهيب : كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا. وقال آخر : كان إماما في العربية فقيها وفصيحا مفوها مقرئا **شديدا على المبتدعة**.

وقال أحمد ويحيى : ثقة. وقال ابن المديني : **من سمعتموه يتكلم في حماد فاتهموه**.

ثم قال الذهبي : **قلت** : قد احتج مسلم بحماد بن سلمة في أحاديث عدة في الأصول، وحايده البخاري، قال الذهبي : وقد نكت

ابن حبان كما مر على البخاري ولم يسمه حيث يحتج بعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار وبابن اخي الزهري وبابن عياش ويدع حمادا . ويعني به ما سبق ص (٥٩١) وهو قوله : وقال ابن حبان : لم ينصف من جانب حديث حماد واحتج بأبي بكر بن عياش وعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار . . الخ . مات سنة سبع وستين ومائة . اهـ .

هذه ترجمة حماد بن سلمة نقلا عن الذهبي ، ولا تحتاج إلى تعليق ، إلا أن حماد بن سلمة كان شديدا على المبتدعة ، ولهذا لم يسلم من ألسنتهم كما فعل الكوثري قبل عبد الله الصديق وذلك سيكون زيادة في حسناته إن شاء الله ، ومن أجل هذا قال ابن المديني : من سمعتموه يتكلم في حماد فاتهموه .

أما قوله : ولم يخرج له البخاري . فأنت ترى كلام الذهبي وابن حبان في ذلك ، وقد خرج له مسلم وهو أصح كتاب بعد صحيح البخاري بإجماع علماء المسلمين ، وتكفي هذه الترجمة الحافلة التي أثبتها له الذهبي . أما الحديث فهو صحيح كما رأيت في تخريجه وتصحيح الحاكم له . ولهذا لم يستطع الناقد أن يتعرض له وإنما أراد الطعن في حماد بن سلمة راوي الحديث ليصل بذلك إلى الطعن في الحديث وهو منهج جميع المؤولة وذلك لفهمهم الخاطىء لصفات الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . ولهذا نجد الناقد يقول :

ثانيا : لو فرضنا صحة نسبة الأصابع لله تعالى فهي كما قال ابن بطال في شرح البخاري : لا يحمل ذكر الأصابع على الجارحة بل يحمل على انه صفة من صفات الذات لا تكيف ولا تحدد وهذا ينسب للأشعري .

قلت : هذه هي المصيبة التي دهت عقول المؤولة حيث لم يفهموا من صفات الباري إلا ما فهموه من صفات المخلوقين لقياسهم الغائب

على الشاهد. وإلا فمن يقول من السّلف الذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه من صفات الكمال أو أثبته له رسوله ﷺ في سنته ان ذلك جوارح تعالى الله عن قول المشبهة والمعطلة علوا كبيرا.

ولهذا نجد الرد على هؤلاء من السلف السابقين، ومن المعاصرين حتى أخي الناقد نفسه أبي الفيض كما سبق نقل كلامه من كتابه «الإقليد في تنزيل كتاب الله على أهل التقليد» ورقة ٤٦ في تفسير قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه **مبسوطتان**﴾. الآية. قال: «أما الأشعرية فأنكرت ان تكون لله يد بالمرة فهم أظلم منهم، وزعموا ان من قال لله يد وعين وقدم مشبه ومجسم، وحرفوا معنى قوله تعالى: ﴿**بأعيننا**﴾ وفي ذين ونحوهما بالحفظ والقدرة، وهو خلاف الحق ومذهب السلف، فكانوا في ذلك أعلم من الله الذي أثبت ذلك لنفسه على المعنى الذي أراده، لا على معنى الجارحة الذي فهمه الأشعرية وغيرهم من المؤولة، وضلّ من قال: قدرته مبسوطتان. اهـ.

وأقول للناقد: ألا تقبل نصيحة أخيك، وتستغفر الله من اتهامك الهروي الذي أثبت لله ما أثبته لنفسه فقلت عنه انه مجسم ومشبه. وأنت تعلم ان من شبه الله بخلقه فقد كفر.

قال: **ثالثا**: ان الحديث يخالف القرآن، قال تعالى: ﴿**فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا**﴾. ولا اشعار في الآية بخنصر ولا بنان فكيف نثبت لله صفة لم يدل عليها القرآن ولا الإجماع.

ثم قال: ويمكن تأويل الحديث بأن الخنصر والبنان من أحد الناس... وهكذا استمر في ذكر التأويلات إلى أن قال: فتبين خطأ المؤلف في فهمه المأخوذ من الترجمة. اهـ.

قلت: صح عن رسول الله ﷺ وصف الله تعالى بصفة الأصابع

على أساس قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ كما في الحديثين السابقين قوله ﷺ : «ما من آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن». الحديث. وحديث عبد الله بن مسعود في الصحيحين كما سبق ذكرهما .

ومادام الناقد سلم بصحة الحديث هذا ولم يبق إلا أن يتأوله لأنه يخالف القرآن فالجواب : ان الله تعالى يقول : ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . . .**﴾ ، وقوله تعالى عن رسوله : ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾ . فهذه الآيات وغيرها تدل على أن السنة الصحيحة من حيث الاستدلال بها مثل الاستدلال بالقرآن . فكلاهما وحي ، وبهذا فسر ابن مسعود ذلك كما في صحيح البخاري فقد قال في روايته : لعن الله الواشمة والمستوشمة . . . الحديث . فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها أم يعقوب ، فجاءت فقالت بلغني إنك لعنت كيت وكيت ، فقال : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ، ومن هو في كتاب الله .

فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول .

قال : لئن كنت قرأتيه فقد وجدتيه ، اما قرأت قوله تعالى : ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . . .**﴾ فقالت : نعم . فقال : قال رسول الله : «لعن الله الواشمة والمستوشمة»[1] . الحديث . وإذا كان الحديث صحيحا فبإجماع أهل السنة انه لا خلاف بينه وبين القرآن ، فإن القرآن يفسر بالقرآن ، ثم بالسنة كما هو مقرر في علوم القرآن . ولهذا وجدنا ابن جرير الطبري قد أورد هذا الحديث في تفسير هذه الآية كما سبق تخريج الحديث .

وذلك يدل على فهم الهروي لما دل عليه هذا الحديث ، ويبين خطأ الناقد في قوله بعد أن سرد تلك التأويلات ليرد بها دلالة النص قال : وبهذا يتبين خطأ المؤلف في فهمه المأخوذ من الترجمة . اهـ .

---

(١) البخارى ، تفسير سورة الحشر / باب ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ فتح البارى ٨/ ٦٣٠ ح ٤٨٨٦ . ومسلم / كتاب اللباس / باب تحريم فعل الواصلة . . ٣ /١٦٧٨ ح ٨٢٠ .

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا بمناسبة رد الناقد الاستدلال بالحديث بعد صحته بحجة انه يخالف القرآن. ان رسول الله ﷺ قد أخبر عن جماعة يأتون آخر الزمان يردون سنته بحجة انهم لم يجدوا ما أمر به أو نهي عنه ﷺ في القرآن ويسمون أنفسهم قرآنيين ومنهم جماعة في العصر الحاضر، ولا أظن ان الناقد منهم، وإن كان هذا قولهم. فقد أورد الشافعي في الرسالة ص (١٧٥) في الحجة في تثبيت خبر الواحد قوله ﷺ في هؤلاء. قال: أخبرنا سفيان قال أخبرني سالم أبو النضر انه سمع عبيد الله بن أبي رافع يخبر عن أبيه. قال: قال النبي ﷺ: «لا الفين أحدكم متكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما نهيت عنه أو أمرت به فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه». وقد ألف السيوطي رسالته (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ردا على هؤلاء المنحرفين)، وهي مطبوعة ومفيدة.

الباب الثالث في الرد ص (١٢) وفي كتاب الأربعين الباب الثامن ص (٥٠) عنوانه: **(باب ان الله تبارك وتقدس وتعالى شيء)**:

قال الناقد: وروى فيه ـ أي الهروي ـ حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها سمعت النبي ﷺ يقول على المنبر: «ما من شيء أغير من الله عز وجل».

قلت: أي الناقد: هو في صحيح البخاري في باب الغيرة، وهو مروي بالمعنى، فقد رواه البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنهما بلفظ «ما من أحد أغير من الله» قال: وبينا فيما سبق أن شرط إثبات الصفة، ألا تكون مروية بالمعنى، إذ تكون حينئذ من تصرف الرواة.

قلت: قوله: وبينا فيما سبق أن شرط إثبات الصفة ألا تكون مروية بالمعنى. هذا الشرط الذي وضعه يقصد به ردّ كل حديث وَرَدَ في الصحيحين وغيرهما مما لم يجد سبيلا لتضعيفه فيرده بدعوى انه روي بالمعنى.

وحيث ان الإمام البخاري قد سبق المؤلف إلى هذا العنوان نفسه في كتاب التوحيد من صحيحه، فتح الباري (١٣/٤٠٢)، فإني مورده هنا رداً على الناقد، فإنه قد اطلع عليه كما ترى نقله، ولم يرد على البخاري .

قال البخاري : (باب : قل أيّ شيء أكبر شهادة قل الله) . **قال** : فسمى نفسه شيئاً، وسمى النبي ﷺ القرآن شيئا، وهو صفة من صفات الله وقال : ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ . ثم قال : حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك عن أبي حازم . عن سهل بن سعد قال النبي ﷺ لرجل : «أمعك من القرآن شيء ؟ قال : نعم، سورة كذا وسورة كذا لسور سماها» . هذا قول البخاري وهو قبل الهروي ـ وقد اطلع الناقد على قول البخاري بدليل ما ورد عنه من نقل عن فتح الباري فلماذا لا يرد على البخاري . وكما ترى فإن البخاري قد بوب بنص الآية الكريمة ﴿**قل أى شىء أكبر شهادة قل الله**﴾، فهل يستطيع أحد أن يقول في الآية الكريمة، ما قاله الناقد في الحديث . مع ان الحديث مقطوع بصحته عند من يثبت لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ومنهم البخاري . فهل الآية أيضا رويت بالمعنى نعوذ بالله من الخذلان .

وبهذا يتضح أن دعوى الرواية بالمعنى حجة واهية يتذرع بها المؤولة لرد سنة رسول الله ﷺ . وساقطة مردودة في هذا الباب لنص الآية الكريمة على ما نص عليه الحديث وهو في صحيح البخاري والسنة الصحيحة وحي كما قال تعالى عن نبيه : ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى**﴾ .

ثم إني أريد أن أبين للقارىء ان **الناقد** لم يفهم ما أراده الهروي، بهذا العنوان وهو قوله (باب ان الله تبارك وتقدس وتعالى شيء) ان الهروي قصد من هذا العنوان : أن يبين ان الله سبحانه وتعالى يطلق

عليه لفظ «شيء» إثباتا للوجود ونفياً للعدم عنه سبحانه. رداً على الملحدين، كما سيأتي توضيح ذلك بما نقله ابن حجر عن صاحب الحيدة عبد العزيز الكناني في رده على المريسي، وما ورد في صحيح البخاري يتضمن هذا ويشمل أن القرآن أو بعضه يطلق عليه شيء، والقرآن كلام الله وكلامه صفة من صفاته.

يقول: ابن حجر في شرحه لهذا الحديث حديث سهل بن سعد الذي تقدم لفظه قال: إن «أيّ» يعنى في قوله تعالى «أيُّ شيء...» إذا جاءت استفهامية اقتضى الظاهر أن يكون سمى باسم ما أضيف إليه، فعلى هذا يصح ان يسمى الله شيئاً وتكون الجلالة خبر مبتدأ محذوف، أي ذلك الشيء هو الله، ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: الله أكبر شهادة، والله أعلم.

ثم قال: قوله: «وسمى النبي ﷺ القرآن شيئا وهو صفة من صفات الله». يشير إلى الحديث الذي أورده من حديث سهل بن سعد وفيه: «أمعك من القرآن شيء» وهو مختصر من حديث طويل في قصة الواهبة تقدم بطوله مشروحا في كتاب النكاح، وتوجيهه، ان بعض القرآن قرآن وقد سماه الله شيئا.

قال: والشيء يساوي الموجود لغة وعرفا. وأما قولهم فلان ليس بشيء فهو على طريق المبالغة في الذم فلذلك وصفه بصفة المعدوم، قال: وأشار ابن بطال إلى أن البخاري انتزع هذه الترجمة من كلام عبد العزيز بن يحيى المكي، فإنه قال في «كتاب الحيدة»[1] سمى الله تعالى

---

(١) كتاب الحيدة ـ هو المناظرة التى جرت بين عبد العزيز بن يحيى المكي الكناني، بين يدي المأمون فى مسألة خلق القرآن مع بشر المريسي.

نفســه شيئـا إثبـاتـا لوجـوده ونفيـا للعدم عنه، وكذا أجرى على كلامه ما أجـراه على نفســه ولم يجعـل لفـظ شيء من أسـمائه بل دل على نفسه انه شيء تكـذيبـاً للدهـريـة ومنكـري الإلهيـة من الأمم، وسبق في علمه أنه سيكون من يلحد في أسمائه ويلبس على خلقه ويدخل كلامه في الأشياء المخلوقـة فقـال : ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ فأخرج نفسه وكلامه من الأشياء المخلوقة ثم وصف كلامه بما وصف به نفسه فقال : ﴿**وما قدروا الله حق قدره إذ قالـوا ما أنـزل الله على بشـر من شيء**﴾، وقال تعالى : ﴿**أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء**﴾ فدل على كلامه بما دل على نفسه ليعلم ان كلامه صفة من صفات ذاته فكل صفة تسمى شيئا بمعنى انها موجـودة»(١) وحكى ابن بطـال أيضـا أن هذه الآيـات والأثار ردا على من زعم انـه لا يجوز ان يطلق على الله شيء كما صرح به عبـد الله النـاشيء المتكلم وغيره، وردا على من زعم ان المعدوم شيء اهـ .

البـاب الـرابـع في الـرد ص (١٣)، وهـو في كتاب الأربعين الباب التاسع ص (٥١) وعنوانه : (**باب بيان أن الله عز وجل شخص**) :

قال النـاقـد : وروى فيـه ـ أي الهـروي ـ حديث المغـيرة في غيرة سعـد بن عبـادة وقول النبي ﷺ : «أنا أغير من سعد والله أغير مني . . . ولا **شخص** أغير من الله عز وجل» . الحديث.

قال : وهـو في صحيـح البخاري معلقا عن عبيد الله بن عمرو عن عبـد الملك : **لا شخص** أغـير من الله ، واسنده من طريق عبد الملك عن وراد كاتب المغيرة : والله أغير مني ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن

---

(١) الحيدة ص ٢٠

أجل ذلك بعث الله المبشرين والمنذرين ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة»[1]

ثم قال الناقد : فتبين أن الرواة تصرفوا في لفظ الحديث، فلا يكون حجة في وصف الله بشخص. وقد قال ابن بطال في شرح البخاري : أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا يجوز أن يوصف بأنه شخص لأن التوقيف لم يرد به. اهـ والشخص سواد الإنسان، والحيوان، يُرى من بعد، فلا يطلق في اللغة إلا على جسم. قال : ولا أدري سر حرص المؤلف على نسبة **الشيء، والشخص**، والأصبع، والخنصر والبنان، صفة لله تعالى، مع أنها ليس فيها كمال ولا ثناء، ولله الأسماء الحسنى والصفات العلا. وهذه **الأشياء**، ولا أقول **الصفات** هي بالمخلوق أولى... إلى أنْ قال : وعلى فرض ثبوت لفظ **شخص** فلا يدل على انه وصف لله .

ثم قال : قال ابن بطال : اختلفت ألفاظ هذا الحديث، ولم يختلف في حديث ابن مسعود أنه بلفظ «**لا أحد**» فظهر ان لفظ شخص جاء موضع **أحد**، **فكأنه من تصرف الراوي**، على انه من باب المستثنى من غير جنسه كقوله تعالى : ﴿**وماهم به من علم إلا اتباع الظن**﴾ وليس من نوع العلم. اهـ. قال، قال الحافظ : وهذا هو المعتمد .

قال ابن فورك : وإنما منعنا من إطلاق الشخص أمور :

---

(١) تخريج الحديث: خ/ التوحيد/ باب قول النبي ﷺ «لاشخص أغير من الله» فتح البارى ١٣/ ٣٩٩ ح٧٤١٦.

م/ اللعان/ ٢/ ١١٣٦ ح١٧ من طريق عبيد الله بن عمر القواريري... عن وراد كاتب المغيرة عن المغيرة بن شعبة... الحديث فيه: **ولا شخص أغير من الله، ولا شخص أحب إليه العذر من الله... ولا شخص** أحب إليه المدحة من الله... فذكر لفظة شخص فى المواضع الثلاثة.

• الدارمي / فى السنن/ باب فى الغيرة ٢/ ٧٣ ح٢٢٣٣ عن المغيرة به.

أحدهـا : ان اللفظ لم يثبت من طريق السمع .

ثانيها : الإجماع على المنع منه .

ثالثها : ان معناه الجسم المؤلف المركب. اهـ.

هذا كل ما أورده الناقد لهذا الباب .

والجـواب : قولـه : فتبـين أن الـرواة تصـرفوا في لفظ الحديث، مستدلا بقول ابن بطال : فكأنه من تصرف الراوي .

قلت : هذه القاعدة التي يرددها الناقد هي التي سبق ذكرها حينما ذكـر الشـروط الثـلاثـة في أول كتابه هذا فيما يثبت به صفات الله تعالى ، والقصـد منهـا، ردّ الآيـات القرآنية بالتأويل ، والأحاديث الصحيحة التي رواهـا الشيخـان البخـاري ومسلم وغـيرهما كهذا الحديث، بأنها رويت بالمعنى وأن الرواة تصرفوا فيها كما نقل ذلك عن ابن بطال. وسترى بعد قليـل ، أن ابن بطـال عفا الله عنا وعنه ، أنه هو الذي تصرف في لفظ هذا الحديث بالتغيير. وهو كما قيل : رمتني بدائها وانسلت .

يقول ابن حجر عن ابن بطال الذي استدل الناقد بقوله في تصرف الـرواة في الحـديث والـذي جعله البخـاري بابـا في كتـاب التـوحيـد من صحيحه ، قال في كتاب التوحيد فتح الباري (١٣/٣٩٩) ج (٧٤١٦) : باب قول النبي ﷺ : «لا شخص أغير من الله» .

وقال عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك (لا شخص أغير من الله) .

قال ابن حجر في الشرح : كذا لهم ، ووقع عند ابن بطال : بلفظ «أحـد» بدل «شخص» وكأنـه من تغيـيره[١]. هذا كلام ابن حجـر، وهو شاهد عدل .

---

(١) فتح البارى ١٣/ ٣٦٩.

وأما عن رواية عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك «لا شخص أغير من الله» التي رددها البخاري معلقة، وطعن فيها الخطابي وتبعه الناقد.

فيقول ابن حجر: قوله: وقال عبيد الله بن عمرو «هو الرقي الأسدي» «عن عبد الملك» هو ابن عمير. قوله: «لا شخص أغير من الله» يعنى أن عبيد الله بن عمرو روى الحديث المذكور عن عبد الملك بالسند المذكور أولاً فقال: «لا شخص» بدل قوله «لا أحد» وقد وصله الدارمي عن زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك بن عمير عن وراد مولى المغيرة عن المغيرة قال: بلغ النبي ﷺ ان سعد بن عبادة يقول: فذكره بطوله، قال وساقه أبو عوانة يعقوب الاسفرائيني في صحيحه عن محمد بن عيسى العطار عن زكريا بتمامه وقال في المواضع الثلاثة «لا شخص».

قال الإسماعيلي بعد أن أخرجه من طريق عبيد الله بن عمرو القواريري وأبي كامل فضيل بن حسين الجحدري ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ثلاثتهم عن أبي عوانة الوضاح البصري بالسند الذي أخرجه البخاري، لكن في المواضع الثلاثة[1] «لا شخص» بدل «لا أحد» ثم ساقه من طريق زائدة بن قدامة عن عبد الملك كذلك، فكأن هذه اللفظة لم تقع في رواية البخاري في حديث أبي عوانة عن عبد الملك، فلذلك علقها عن عبيد الله بن عمرو.

قال ابن حجر: قلت: وقد أخرجه مسلم عن القواريري وأبي كامل[2] كذلك ومن طريق زائدة.

(١) قلت: وما أشار إليه ابن حجر من لفظ «شخص» فى المواضع الثلاثة، وانه اخرجه مسلم بهذا اللفظ، وسبق تخريجه، فيعني بالمواضع الثلاثة فى الحديث هي قوله ﷺ **لاشخص أغير من الله، ولا شخص** أحب إليه العذر من الله، **ولا شخص** أحب إليه المدحة من الله.

(٢) قلت: وهي الرواية التى استدل بها المؤلف الهروي.

أمـا ادعـاء ابن بطـال إجمـاع الأمـة على ان الله تعـالى لا يجوز ان يوصف بأنـه شخص لأن التـوقيف لم يرد به . **فقـد ردّه ابن حجر بعد نقله له ، فقال** : كذا قال والمنقول عنهم خلاف ما قال[1].

قلت : الشخص في اللغة : ما شخص وارتفع وظهر .

وقـد ثبت التـوقيف به عن رسـول الله ﷺ ، ووردت هذه اللفظة : «لا شخص» في ثلاثة مواضع من لفظ رسول الله ﷺ كما رأيت . ورسول الله أعلم الخلق بالله وبـما يجوز أن يطلق عليـه من أسمائـه وصفاته وبما لا يجوز. ودعـوى ابن بطـال الإجماع دعوى داحضة لا حجة عليها وقد ردّها ابن حجر كما رأيت .

ومما يعجب له ، أن النـاقـد نقـل دعوى الإجماع عن ابن بطال من فتـح البـاري ، وتـرك رد ابن حجر لهذا الإجماع وهو في نفس الصفحة التي نقل منها .

وقـول النـاقد ـ قال ابن بطال : اختلفت ألفاظ هذا الحديث، ولم يختلف في حديث ابن مسعود أنه بلفظ لا أحد، فظهر ان لفظ «شخص» جاء موضع أحد، فكأنه من تصرف الراوي .

أقـول : سبق نقـل كلام ابن حجر : أن ذلك التصرف ـ كأنه من عمـل ابن بطـال وانـه هو الـذي تصـرف في لفـظ الحـديث . فتبـويب البخـاري : «لا شخص» . وابن حجـر شاهـد عدل ، وقـد أكـد شهادته بروايـة مسلم للحـديث بسنـد البخاري والرواة من أعلام الحفاظ وكلهم رووا الحديث في المواضع الثلاثة[2] بلفظ «لا شخص» .

وقـول ابن بطـال ـ واستـدل به الناقد ـ على انه من باب المستثنى

---

(١) فتح البارى ١٣/ ٤٠٠ .

(٢) سبق فى الصفحة السابقة هامش (١) ذكر المواضع الثلاثة .

من غير جنسه، كقوله تعالى : ﴿وما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ وليس الظن من نوع العلم . اهـ . قال الحافظ : وهذا هو المعتمد .

أقول : إن كان الحافظ يريد بقوله : وهذا هو المعتمد، ان الظن ليس من نوع العلم فهو مسلم، ويظهر ان هذا هو الذي يقصده . لأن الناقد نقل بعد هذا كلاما عن ابن فورك من شرح هذا الحديث عند ابن حجر وهو قوله : قال ابن فورك : وإنما منعنا من إطلاق الشخص أمور :

أحدها : ان اللفظ لم يثبت من طريق السمع .

ثانيها : الإجماع على المنع منه .

ثالثها : ان معناه الجسم المؤلف المركب .

وقد رد ابن حجر : على هذه الدعاوي جميعا ولم ينقل الناقد من كلامه شيئاً وإليك كلامه :

قال ابن حجر وأما الخطابي فبنى على أن هذا التركيب يقتضي إثبات هذا الوصف لله تعالى فبالغ في الإنكار وتخطئة الراوي فقال : إطلاق الشخص في صفات الله تعالى غير جائز لأن الشخص لا يكون إلا جسما مؤلفا فخليق ان لا تكون هذه اللفظة صحيحة وأن تكون تصحيفا من الراوي، ودليل ذلك أن أبا عوانة روى هذا الخبر عن عبد الملك فلم يذكرها ووقع في حديث أبي هريرة وأسماء بنت أبي بكر بلفظ «شيء» والشيء والشخص في الوزن سواء، فمن لم يمعن في الاستماع لم يأمن الوهم، وليس كل الرواة يراعي لفظ الحديث حتى لا يتعداه بل كثير منهم يحدث بالمعنى، وليس كلهم **فهما** بل في كلام بعضهم **جفاء وتعجرف فلعل** لفظ «شخص» جرى على هذا السبيل إن لم يكن غلطا من قبيل التصحيف يعنى السمعي، قال : ثم ان **عبيد الله بن عمرو انفرد عن عبد الملك** فلم يتابع عليه واعتوره الفساد من هذه الأوجه . هذا كلام الخطابي عفا الله عنه .

ويقول ابن حجر بعد هذا مباشرة : وقد تلقى هذا عن الخطابي أبوبكر بن فورك **فقال** : لفظ شخص غير ثابت من طريق السند، فإن صح فبيانه في الحديث الآخر. وهو قوله : (لا أحد) فاستعمل الراوي لفظ شخص موضع أحد ثم ذكر نحوما تقدم عن ابن بطال، ومنه أخذ ابن بطال، ثم قال ابن فورك وإنما منعنا من إطلاق لفظ الشخص أمور :

أحدها : ان اللفظ لم يثبت من طريق السمع .

الثاني : الإجماع على المنع منه .

الثالث : ان معناه الجسم المؤلف المركب .

هذا ما نقله ابن حجر في شرح الحديث عن الخطابي ومن تبعه في الطعن في أئمة الحديث الضابطين. **وإليك رد ابن حجر على الخطابي ومن تبعه** :

٧- رَدُّ ابنِ حَجَرٍ عَلَى الخَطَّابِي وَمَن تَبِعَهُ فِي الطَّعنِ عَلَى أَهلِ الحَدِيثِ .

يقول ابن حجر : فطعن الخطابي ومن تبعه في السند مبني على تفرد عبيد الله بن عمرو به، وليس كذلك كما تقدم(١) قال : وكلامه ظاهر في أنه **لم يراجع صحيح مسلم** ولا غيره من الكتب التي وقع فيها هذا اللفظ من غير رواية عبيد الله بن عمرو، **ورد الروايات الصحيحة والطعن في أئمة الحديث الضابطين** مع إمكان توجيه ما رووا، **من الأمور التي أقدم عليها كثير من غير أهل الحديث وهويقتضي قصور فهم من فعل** ذلك منهم. اهـ. هذا كلام ابن حجر المؤيد بالدليل من أن هؤلاء الطاعنين لم يرجعوا لصحيح مسلم الذي ورد فيه اللفظ وانهم طعنوا في الرواة لقصور فهمهم .

وفي ختام البحث نقول للناقد : ان فهم رواة الحديث هو الأولى ونقلهم هو الصحيح والمقبول، وكيف لا يكون ذلك وهم أهل هذا

الشأن، ويكفى دليلا على قصور فهم الطاعنين على أئمة الحديث ورميهم بالجفاء والتعجرف كما قال الخطابي، ردّ ابن حجر عليه وبيان قصور فهمه وفهم من تبعه في ذلك، بل ومما يؤسف له ما سبق من قول الخطابي عن ابن مسعود رضي الله عنه أحد فقهاء الصحابة وقد شهد التنزيل، وقد روى حديث وصف الله عز وجل بالأصابع كما في رواية البخاري فقال ابن مسعود : فضحك رسول الله ﷺ تعجبا وتصديقا. أي ـ من قول الحبر. فقال الخطابي : ان ذلك ظن وحسبان. وهذا كلام لا يناسب ان يقال لصحابي من فقهاء الصحابة.

كما نقول للناقد أيضا : ان ابن فورك يقول : انه لم يمنعه من إطلاق لفظ الشخص وصفا لله إلا أن هذا اللفظ لم يثبت عنده من طريق السمع. وقد بين ابن حجر ان هذا اللفظ ثابت في صحيح مسلم. وأن أول من طعن في سند هذا الحديث الخطابي وتبعه ابن فورك ومنه أخذ ابن بطال، وقد ذكر ابن حجر عذرا للخطابي بأنه لم يرجع لصحيح مسلم ولا غيره من الكتب التي وقع فيها هذا اللفظ والا لأخذ به. بدليل ان ابن فورك يقول : ان هذا اللفظ لم يصح من جهة السمع، ومعناه لو صح عنده لقال به.

وإذا كان عذر الخطابي وابن فورك عدم الاطلاع على رواية مسلم كما قال ابن حجر فما عذرك أنت أيها الناقد بين يدي الله وقد اطلعت على رواية مسلم وغيرها.

كما اطلعت على كلام ابن حجر هذا فنقلت منه ما وافق هواك وتركت ما يوافق الحق. وما هكذا يعمل العلماء المنصفون. والله يقول : ﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾، ويقول : ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾.

وقد ورد في إسناد حديث هذا الباب : ثنا كاملة ؟؟ والمقرى قالا

حدثنا أبو عوانة . . . الخ فنبهني الناقد على أن «كاملة»؟؟ وأمامها الاستفهام في السند، على انه «أبو كامل» وهو يروي عن أبي عوانة كما في تهذيب التهذيب، وإني أشكره على هذا التنبيه . إذ كانت النسخة المحققة فريدة، وأبو كامل هو فضيل بن حسين الجحدري، ومن طريقه أخرجه مسلم كما سبق ذكر ابن حجر لذلك وهي رواية المؤلف كما في تخريج الحديث .

الباب الخامس في الرد ص (١٥)، وفي الأربعين الباب العاشر ص (٥٢)، وعنوانه : **(باب بيان إثبات النفس لله عز وجل)** :

قال الناقد : وروى فيه ـ أي الهروي ـ حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال : «سبحان الله وبحمده عدد خلقه ومداد كلماته ورضاء نفسه» .

قال : وهو في صحيح[1] مسلم وجاء لفظ النفس في القرآن في عدة آيات . **ثم قال** : وقال البيهقي : ومعنى قول من قال : الله سبحانه وتعالى، انه نفس : أنه موجود ثابت غير منتف ولا معدوم . وكل موجود نفس، وكل معدوم ليس بنفس . والنفس في كلام العرب على وجوه : فمنها نفس منفوسة مجسمة مروحة، ومنها مجسمة غير مروحة . . . وهكذا استمر في ذكر التأويلات نقلا من فتح الباري عن ابن بطال وغيره .

وختمها بقوله وأعود فأقول : لا أدرى سر حرص المؤلف على نسبة الألفاظ الموهمة صفة لله عز وجل .

(١) تخريج الحديث: مسلم/ الذكر والدعاء ٤/ ٢٠٩٠ ح٧٩.
• جه/ الأدب/ باب فضل التسبيح ٢/ ١٢٥١ ح٣٨٠٨.
• ت/ الدعوات ٩/ ٥٤٢ ح٣٦٢٦.
• النسائي/ السهو/ باب عدد التسبيح بعد التسليم ٣/٦٥.
• المسند ١/ ٣٥٣.

قلت : ان الناقد لم يجد رداً لهذا النص بالتضعيف كما رد غيره، وذلك لورود لفظ «النفس» في عدد من الآيات الكريمة، فلجأ إلى ما اتفق عليه أرباب التأويل وهو تسليط معول التأويل لهدم نصوص كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بصرفها عن ظاهرها في جميع ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه، وأخبر به عنه رسوله ﷺ في سنته الصحيحة، وانه لا حقيقة لهذه النصوص تدل عليها، وإنما كلها مجاز في حق الله سبحانه. فكأنهم أعلم بالله من الله ورسوله.

وحيث ان المؤلف تبع البخاري في هذا الباب، فإنني اكتفى بالرد على الناقد بما أورده البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه فقد قال في فتح الباري (١٣/ ٣٨٣) (باب قول الله تعالى : ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾، وقوله عز وجل : ﴿**تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك**﴾. ثم أورد حديث أبي هريرة رقم (٧٤٠٤) عن النبي ﷺ قال : «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه... » الحديث، ورقم (٧٤٠٥) عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : «يقول الله تعالى : أنا عند ظنَ عبدي بي. وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي... » هذا ما ذكره البخاري.

وقد بوب البيهقي في كتابه «الأسماء والصفات» فقال : (باب ما ذكر في النفس) ثم ذكر قوله تعالى : ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾، ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾، ﴿**واصطنعتك لنفسى**﴾ وقال فيما أخبر به عن عيسى انه قال : ﴿**إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك**﴾ ثم أورد عددا من الأحاديث فيها ذكر النفس عازيا لها إلى البخاري ومسلم[1] وغيرهما، ومنها الحديث الذي استدل به المؤلف.

---

(١) تقدم تخريجها فى الصفحة السابقة.

٨- لَيسَ فِي القرآنِ والسُّنَّةِ فيما يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ اللهِ تعالى ألفاظٌ مُوهِمَةٌ، وفَهْمُ الصَّحابَةِ لِنُصُوصِ القرآنِ والسُّنَّةِ أَوْلَى مِن فَهْمِ أَصْحَابِ التَّأْوِيلِ.

أما قول الناقد : وأعود فأقول : لا أدري سر حرص المؤلف على نسبة الألفاظ الموهمة صفة لله عز وجل .

فالجواب : انه ليس في القرآن ، ولا في السنة الصحيحة فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته ألفاظ موهمة إطلاقا . ودليل ذلك ان الصحابة رضوان الله عليهم وهم أحرص الأمة على تنزيه الله سبحانه وتعالى وقد سألوا رسول الله ﷺ في أشياء كثيرة أشكلت عليهم ولم يثبت عن واحد منهم انه سأل رسول الله عن اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته تعالى ، وما ذلك إلا لوضوحها عندهم لأن القرآن نزل بلغتهم .

ويؤكد هذا الوضوح عندهم ما جاء في صحيح البخاري في كتاب التوحيد فتح الباري (١٣/ ٣٤٧ ح٧٣٧٥) عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿**قل هو الله أحد**﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال : لأنها **صفة الرحمن**، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ : **أخبروه ان الله يحبه** .

هذا فهم الصحابة رضوان الله عليهم لأسماء الله وصفاته، وهذا إقرار رسول الله ﷺ لهم وتبشيرهم بأن الله يحب من أحبّ صفاته، وبهذا يتضح أن الوهم ليس في ألفاظ أسماء الله وصفاته، وإنما الوهم في رؤوس أصحاب التأويل الذين لم يفهموا من معاني هذه النصوص إلا ما يفهمونه من المخلوق، وليس لإزالة ذلك الوهم من رؤوسهم بعد توفيق الله، إلا علاج عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأوهام والشبه التي كانت في رأس صبيغ .

ونؤكد للناقد أن سر حرص المؤلف وقبله البخاري والإمام أحمد والأوزاعي وابن خزيمة وجميع سلف هذه الأمة الذين يوردون هذه النصوص الصريحة من الكتاب والسنة عند من لم تتلوث عقولهم بشبه

المتكلمين غرضهم من ذلك ان يثبتوا لله كلما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ على حقيقته لأن الله سبحانه هو أعلم بنفسه من خلقه، ورسوله ﷺ هو أعلم الخلق وأتقاهم لربه فلا يقول عن ربه إلا حقا، ولا يثبت له إلا ما يليق بجلاله وكماله .

أما موضع النفس وما يراد به هنا فيفصل القول فيه شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول : ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه كما يقال : رأيت زيدا نفسه وعينه . وقد قال تعالى : ﴿**تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك**﴾، وقال : ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾، وقال تعالى : ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾ . وفي الحديث الصحيح انه قال لأم المؤمنين : «لقد قلت بعدك أربع كلمات لو وزن بما قلتيه لوزنتهن سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله رضاء نفسه سبحان الله مداد كلماته» .

وفي الحديث الصحيح الإلهي عن النبي ﷺ يقول الله تعالى : «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» .

قال : فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات وكلا القولين خطأ[1] . اهـ .

الباب السادس في الرد ص (١٦) وفي الأربعين الباب الحادي عشر ص (٥٣) وعنوانه : (**باب الدليل على أنه تعالى في السماء**) :

---

(١) الفتاوى ٩/ ٢٩٢ - ٢٩٣ .

قال الناقد : وروى فيه ـ أي الهروي ـ : حديث ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ومعه جارية أعجمية سوداء فقال : عليّ رقبة فهل تجزىء هذه عني ؟ فقال : أين الله ؟ فأشارت بيدها إلى السماء . فقال : من أنا ؟ فقالت رسول الله . قال اعتقها فإنها مؤمنة . ثم قال المؤلف : حديث معاوية بن الحكم أصح[1] اسنادا من هذا .

٩ـ الرَّدُّ عَلَى دَعْوَى النَّاقِدِ أَنَّ حَدِيثَ الجَارِيَةِ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ شَاذٌّ وَمَرْدُودٌ .

قال الناقد : قلت : إسناد هذا الحديث فيه سعيد بن المرزبان ضعيف مدلس بل متروك . وحديث معاوية بن الحكم في صحيح مسلم لكنه شاذ مردود، لوجوه .

قلت : ما اجرأ المؤولة على حديث رسول الله ﷺ ، فهذا الحديث في صحيح مسلم كما ترى فهو ثاني كتاب في الصحة تلقته الأمة بالقبول . ولم يقل أحد من النقاد من علماء هذا الشأن انه : شاذ، لأن الشاذ عندهم : هو رواية الثقة المخالف للثقاة، ولم يوجد في هذا الحديث شيء من ذلك .

ونعود لذكر ما أورده الناقد لرد هذا الحديث فقد جعل الرد على قسمين :

القسم الأول : الحكم على الحديث بالشذوذ، ثم رتب على ذلك رده .

---

(١) تخريج حديث معاوية بن الحكم : مسلم/ في المساجد/ باب تحريم الكلام في الصلاة، ١/ ٣٨١ ح٣٣ .

• د/ في الصلاة/ باب تشميت العاطس ١/ ٥٧٠ ح٩٣٠ .

• الموطأ/ عتق/ باب مايجوز من العتق في الرقاب الواجبة ص٤٨٥ ح٨ .

• وله شاهد من حديث أبي هريرة في المسند ٢/ ٢٩١ .

القسم الثاني : تفسير معنى العلو، وإن كون الله في السماء ليس على حقيقته. ص (١٨) .

أما القسم الأول فقد ضمنه عدة أوجه لرد هذا الحديث حسب زعمه فقال :

الوجه الأول : مخالفته لما تواتر عن النبي ﷺ انه كان إذا أتاه شخص يريد الإسلام سأله عن الشهادتين فإذا قبلها حكم بإسلامه. واستشهد على ذلك بما في الموطأ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، ان رجلا من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ بجارية سوداء فقال : يارسول الله عليّ رقبة مؤمنة . . . الحديث. وفيه سألها اتشهدين أن لا إله إلا الله . . . الحديث.

الثاني : ان النبي ﷺ بين أركان الإيمان في حديث سؤال جبريل حيث قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته . . . الحديث. ولم يذكر فيها عقيدة ان الله في السماء .

الثالث : ان العقيدة المذكورة لا تثبت توحيدا ولا تنفي شركاً، فكيف يصف النبي ﷺ صاحبها بأنه مؤمن ؟، كان المشركون يعتقدون أن الله في السماء، ويشركون معه آلهة الأرض، ولما جاء حصين بن عتبة أو ابن عبيد والد عمران إلى النبي ﷺ فسأله : «كم تعبد من إله ؟ قال : ستة في الأرض وواحد في السماء»[١] .

وقال فرعون لهامان : ﴿ابن لى صرحا لعلى اطلع إلى إله

---

(١) لم يورد الناقد بقية الحديث لأنه رد عليه ونصه كالتالي : قال : فأيهم تعده لرغبتك ورهبتك؟ قال الذي فى السماء. . . الحديث رواه الترمذي ٥/١٥٧ ح٣١٧٩، وهو ينفى أن يكون الله فى السماء، أي فى العلو كما وردت به النصوص القرآنية : ءأمنتم من فى السماء. . الآية. والأحاديث الصحيحة.

موسى﴾[1]. (القصص/٣٨) لاعتقاده أن الله في السماء، ومع ذلك قال لقومه: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾.

اما القسم الثاني: وهو ان العلو معنوى فيقول: إن كون الله في السماء ليس على حقيقته عند جماعة من العلماء بل هو مؤول عندهم على معنى العلو المعنوى، ص (١٨) واستشهد بقول الباجي قال: قال الباجى على قول الجارية: في السماء، لعلها تريد وصفه بالعلو، وبذلك يوصف من كان شأنه العلو، يقال: مكان فلان في السماء، يعنى علو حاله ورفعته وشأنه.

قال: وذكر السبكى في طبقات الشافعية (١/١٦٥) الأبيات المنسوبة لعبد الله بن رواحة:

شهدت بأن وعد الله حق وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

قال وعقبها بقول الإمام الرافعى في الأمالي بعد ذكره هذه الأبيات: انها فوقية العظمة والاستغناء، في مقابلة صفة الموصوفين بصفة العجز والفناء. اهـ.

قال: وأركان الإيمان لا يدخلها التأويل.

هذا كل ما أورده الناقد من الشبهة التي اعترض بها على حديث الجارية التي شهد لها رسول الله ﷺ بالإيمان لما أجابت على سؤاله لها: أين الله؟ قالت: في السماء.

---

(١) وكذلك الآية لم يذكر آخرها لأنه رد عليه حيث ان فرعون كذب موسى ان يكون إلهه فى السماء. وهو رد عليه كما سترى ذلك عند مناقشة هذه الشبه بعد قليل ان شاء الله.

١٠ـ تفصيل الرد على الناقد في نفيه العلوية على خلقه، ودحض الشبه التي أوردها على حديث الجارية في صحيح مسلم.

وقبل البدء في مناقشة هذه الشبهة أرى أنه من المناسب بيان معنى مايأتي :

١ ـ السماء لغة .

٢ ـ الحرف «في» .

(٣) السماء المبنية التي ورد ذكرها في القرآن وفي حديث الإسراء والمعراج. وذلك لأن المؤولة توهموا ان معنى «في» في قول رسول الله ﷺ في الحديث «ألا تأمنوني وأنا أمين من «في» السماء»، انها للظرفية وكذلك في حديث الجارية، وفي قوله تعالى : ﴿**ءأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض**﴾.

فنقول : السماء في اللغة : مطلق العلو، فكل ما علاك فهو سماء، وفي لغة العرب، توضع «في» موضع «على» .

يقول ابن حجر في شرح حديث أبي سعيد الذي رواه البخاري في كتاب المغازى فتح الباري (٨/٦٧ ح ٤٣٥١) وفي كتاب التوحيد فتح الباري (١٣/٤١٥) وسنذكر نصه فيما بعد. وفيه قوله ﷺ : «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء» .

قال : وقد حكى البيهقي عن الضبعي قال : العرب تضع «في» موضع «على» كقوله ﴿**فسيحوا في الأرض**﴾، وقوله : ﴿**لأصلبنكم في جذوع النخل**﴾، فكذلك قوله : ﴿**من فى السماء**﴾ أي على العرش فوق السماء كما صحت الأخبار بذلك .

قلت : وهذا هو العلو الذي يقصده السلف ومنهم المؤلف وهو ان الله فوق جميع مخلوقاته مستو على عرشه استواء يليق بجلاله للنصوص القرآنية والأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ. ولا يتوهمون منها ما يتخيله المعطلة من فهمهم لمعنى الحرف «في» كما في حديث الجارية، وكما في قوله تعالى : ﴿**ءأمنتم من فى السماء**﴾ انه للظرفية ـ وان السماء المبنية

التي ورد ذكرها في القرآن بسبع طرائق وبسبع طباق . . . وفسرها حديث المعراج بأنها مبنية ولا يدخلها أحد إلا باستئذان ـ انها تحويه سبحانه وتعالى .

ان هذه السموات السبع على عظمتها، والأرضين السبع كذلك ما هي بالنسبة لخالق السموات والأرض إلا كخردلة في يد أحدكم كما صح بذلك الخبر .

يقول : شيخ الإسلام ابن تيمية في الحموية ص (٨١) : «ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى ان السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب ـ ان نقله عن غيره ـ وضال إن اعتقده في ربه ، وما سمعنا أحدا يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحدا نقله عن واحد ، ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قول الله ورسوله «ان الله في السماء» أن السماء تحويه لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محالا لا يفهمه الناس منه ثم يريد أن يتأوله ، بل عند المسلمين «ان الله في السماء» «وهو على العرش» واحد، إذ **أن السماء إنما يراد به العلو فالمعنى ان الله في العلو لا في السفل**، وقد علم المسلمون أن كرسيه سبحانه وتعالى وسع السموات والأرض، وان الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقا يحصره ويحويه ؟ وقد قال سبحانه ﴿**لأصلبنكم في جذوع النخل**﴾ ، وقال : ﴿**فسيحوا في الأرض**﴾ بمعنى «على» ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازا وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف وانها متواطئة في الغالب لا مشتركة» ثم ضرب على ذلك أمثلة من الحديث وهو كلام نفيس .

وبعـد هذا نبـدأ بالـرد على الشبهة التي أوردها الناقد فنقول : ان الذين أخذوا بأراء الجهمية والمعتزلة في صرف نصوص الكتاب والسنة عن ظاهـرهـا وان اختلفت عبـاراتهم فهي متفقة على رد تلك النصوص وانها لاتـدل على معـانيهـا المفهـومـة من لغـة من خوطبـوا بها . فنجدهم مثلا يقسمـون الحـديث النبوي إلى أخبار آحاد . ومتواتر فأخبار الآحاد يردونها جملة وإن كانت في صحيـح البخـاري ومسلم . امـا المتـواتـر من السنـة . والقــرآن الكــريم ، وإن كان ثبـوتهـما قطعي إلا أن دلالتهـما ظنيـة . كما يضيفـون عبـارة أخرى لرد الحديث الصحيح وذلك للتنويع فقط فيقولون ان هذا الحديث مروي بالمعنى .

وقـد سلك النـاقد هذه الطرق كلها حذو القذة بالقذة ، ثم أضاف مسلكـا آخـر لرد هذا الحديث حديث الجارية بعد اعترافه بأنه في صحيح مسلم ، فقال : إنه شاذ ومردود .

ولننظر ما هو شذوذه ان القاعدة عند علماء الحديث في الحكم على الحـديث بأنــه شاذ لا تنطبق على هذا الحـديث إطـلاقـا ، لأن الشـاذ عنــدهم : هو روايــة الثقـة المخـالفـة لمن هو أوثق منـه» . وليس في هذا الحـديث شيء من هذا ، فلم يتعـرض أحد لهذا الحديث بالنقد لا الإمام الدارقطني ولا غيره من أئمة هذا الفن . أما العلل التي تمحلها الناقد لرد هذا الحـديث وسبق ذكـرهـا فهي عليلة لا يصـح بمثلهـا رد خبر المعصوم ﷺ ، فقد صرح الناقد برد شهادة رسول الله ﷺ للجارية بأنها مؤمنة .

فهو يقول ص (١٧) إن العقيدة المذكورة لا تثبت توحيدا ولا تنفي شركا فكيف يصف النبي ﷺ صاحبها بأنه مؤمن ؟ هكذا يقول !! .

ونقــول : سبحــان الله العظيم ماأجـرأك أيهـا الـرجـل على الله ورسوله !! أيصح لك أن تقول هذا القول ، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ ووصف الجـاريـة بأنها مؤمنة ، وتقول أنت : فكيف يصف النبي

صاحب هذا القول بالإيمان ؟ أيصح لمؤمن يخشى الله أن يعترض على رسول الله ﷺ وهو الذي وصفه ربه بأنه لا ينطق عن الهوى في جميع ما يقوله ويقضي به، فالله يقول في كتابه : ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**﴾. (الأحزاب/٣٦) ويقول : ﴿**ياأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم**﴾. ان هذا القول جرأة وتقدم بين يدي الله ورسوله .

اما قول الناقد : ان هذا الخبر مخالف لما تواتر عن النبي ﷺ، لأنه كان إذا أتاه شخص يريد الإسلام سأله عن الشهادتين فإذا قبلهما حكم بإسلامه .

وقوله : ان النبي ﷺ بين أركان الإيمان في حديث سؤال جبريل . . . ولم يذكر فيها عقيدة ان الله في السماء . كما سبق ذكر ذلك .

فنقول : إن قول رسول الله ﷺ للجارية : أين الله ؟ فتقول : في السماء . فيقول : من أنا ؟ فتقول : رسول الله . فيقول رسول الله : اعتقها فإنها مؤمنة .

نقول : أيّ مخالفة في هذا لقوله ﷺ لرجل آخر جاءه ليدخل في الإسلام، فيسأله عن الشهادتين . وأي مخالفة فيه لأركان الإيمان وأولها الإيمان بالله وملائكته . . . الخ .

ان الإيمان بالله والشهادة له بالوحدانية، لا تخالف قول الله تعالى : ﴿**ءأمنتم من فى السماء ان يخسف بكم الأرض**﴾، ولا إقرار الرسول ﷺ للجارية، أن الله في السماء ويشهد لها بالإيمان .

إذ المقصود منه العلو على جميع مخلوقاته كما قال تعالى عن الملائكة : ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾ .

وأما استدلال الناقد ـ لرد حديث الجارية ـ بحديث عمران بن

حصين، وهو ان المشركين كانوا يعتقدون ان الله في السماء ويشركون معه آلهة في الأرض، بدليل أن والد عمران كان يعبد سبعة آلهة ستة في الأرض، وواحداً في السماء. فلم تثبت له تلك العقيدة إيماناً. وان فرعون قال لهامان: ﴿**ابن لى صرحا لعلى اطلع إلى إله موسى**﴾ لاعتقاده ان الله في السماء، ومع ذلك قال لقومه: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾.

فالجواب: ان هذا الاستدلال على الناقد وليس له. وبيان ذلك بالأمور التالية:

الأول: أن سبب كفر المشركين هو إشراكهم مع الله آلهة أخرى وعبادتها من دونه أو معه. وقد صرح الناقد بهذا.

أما اعترافهم بأن الله في السماء ولم يحكم بإيمانهم فهو بقاؤ هم على شركهم، لأن توحيد الربوبية وهو اعترافهم بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت لم يدخلهم في الإسلام. وهذا صريح القرآن فالله يقول عن المشركين ﴿**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون**﴾. (الزخرف/٨٧). ومع هذا لما دعاهم رسول الله ﷺ لأن يقولوا: لا إله إلا الله. قالوا كما حكى الله عنهم ﴿**أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا لشيء عجاب**﴾. (ص/٥) وقالوا كما حكى الله عنهم: ﴿... **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾. (الزمر/٣) ومع ذلك قال رسول الله ﷺ: أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله.

الثاني: ان الناقد لم يورد نص حديث والد عمران كاملا فقد حذف منه جملة مهمة لا تصلح للناقد، ومثل الحديث بقية الآية الكريمة التي هي نص صريح في الرد عليه.

اما الحديث ففيه قوله ﷺ **لوالد عمران: فأيّهم تعده لرغبتك**

ورهبتك ؟ قال : الذي في السماء . . . الحديث[1] فأنت ترى، أن والد عمران في حال شركه، وفطرته تدله على ان الإله الذي يعده لرغبته ورهبته هو الذي في السماء أي في العلو. وهكذا فطرة البشرية كلها فكل من أصابه ضيق وشدة رفع يديه إلى السماء، حتى البهائم والطيور كما سيأتي أمثلة لذلك في آخر هذا البحث وإله عمران الذي في السماء يعده لرهبته ورغبته هو الذي يخلص له العبادة في الشدة كما في قوله تعالى : **﴿هو الذى يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكن من الشاكرين﴾**[2].

وأما الآية التي اجتزأها فنصها : **﴿وقال فرعون ياأيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين﴾**. (القصص/٣٨). فالآية صريحة في أن فرعون كذب موسى أن إلهه في السماء، فكيف تقول أيها الناقد ان فرعون قال ذلك لاعتقاده ان الله في السماء. أأنت أصدق ام الله. فموسى عليه السلام هو الذي يقول إن إلهه في السماء أي في العلو، وفرعون يقول : ان موسى كاذب في ذلك، ولهذا أمر هامان أن يبني له صرحا ليرقى للسماء علّه يجد إله موسى الذي ذكره له .

وبهذا يتضح ان كفر المشركين هو عبادتهم غير الله من دونه أو معه، ولم يكفهم الاعتراف بأن الله في السماء وانه الخالق الرازق ماداموا على شركهم، والجارية لو كانت مشركة مع إقرارها بأن الله في السماء لما حكم الرسول بإيمانها. لأن الإقرار بالله مع الإشراك به لا ينفع صاحبه، وكذلك

(١) الترمذي ٥/ ١٧٥ ح٣١٧٩ وسبق تخريجه.

(٢) يونس/ ٢٢.

كان والد عمران لما كان مشركا. ولذلك قال له رسول الله ﷺ في الحديث السابق : اما انك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك، فلما أسلم الحصين قال : يارسول الله علمنى الكلمتين اللتين وعدتنى. قال : اللهم الهمني رشدي واعذني من شر نفسي .

وإليك قول ابن قيم الجوزية في النونية عن حديث عمران بن حصين قال :

واذكر حديث بن المنذر	الثقة الرضى أعنى أبا عمران
إذ قال ربي في السماء لرغبتي	ولرهبتي ادعوه كل أوان
فأقره الهادي البشير ولم يقل	أنت المجسم قائل بمكان
حيّزت بل جهّيت بل شبهت بل	جسمت لست بعارف الرحمن
هذى مقالتهم لمن قد قال ما	قد قاله حقاً أبو عمران
فالله يأخذ حقه منهم ومن	أتباعهم فالحق للرحمان

القسم الثاني من النقد وهو قوله : إن كون الله في السماء ليس على حقيقته عند جماعة من العلماء بل هو مؤول عندهم على معنى العلو المعنوي. واستشهد بقول الباجى في شرح حديث الجارية. وقول السبكى في شرح أبيات عبد الله بن رواحة كما سبق ذكر ذلك .

١١ـ ذكر رد الأئمة على منكر العلوية على خلقه .

• الإمام البخاري يثبت العلوية في كتاب التوحيد من صحيحه .

والجواب : أولا : ان ما يعبر عنه بالمعنوى. أمر لا يوجد إلا في الذهن وليس له حقيقة في الخارج. كقولهم : الحيوانية والإنسانية، فهذه معان ذهنية ليس لها حقيقة محسوسة في الخارج. وهذا الاعتقاد هو حقيقة مذهب الجهمية من أنه لا يوجد على العرش إله يعبد ولا رب يصلى له ويسجد. كما سيأتى توضيح ذلك إن شاء الله بعد هذا، وهذا هو ما صرح به الناقد في قوله هذا، ناسباً له إلى الباجى والسبكى .

وسلف هذه الأمة الصحابة، والتابعون والأئمة الأربعة، وعلماء السلف من مفسرين، ومحدثين، وفقهاء، على اختلاف مذاهبهم من

حنفية ومالكية وشافعية وحنابلة، كلهم يثبتون لله عز وجل صفة العلو، وقبل ذكر أسماء هؤلاء وذكر نماذج من أقوالهم كما في «كتاب العلو» للذهبي. واجتماع الجيوش الإسلامية على المعطلة والجهمية» لابن القيم.

نبدأ بقول الإمام البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه. فقد قال في فتح الباري (١٣/ ٤١٥) : (**باب قول الله تعالى ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾**)، وقوله : **﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾** :

قال أبو جمرة عن ابن عباس «بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ فقال لأخيه : اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه خبر السماء» **وقال مجاهد** : «العمل الصالح يرفع الكلم الطيب» يقال ذي المعارج : الملائكة تعرج إليه. ثم أورد تحت هذا الباب خمسة أحاديث كلها تدل على العلو.

يقول : ابن حجر في شرح الحديث الرابع وهو حديث أبي سعيد الخدري الذي سبقت روايته في المغازي فتح البارى (**٨/ ٦٧ ح ٤٣٥١**) ونصه : بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصّل من ترابها، قال فقسمها بين أربعة نفر : بين عيينة بن بدر وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة واما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : **ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء**... الحديث. وقد أورده البخاري في التوحيد كما سبق فقال ابن حجر في شرحه قال : **قوله : إنما أتألفهم» قال : في الرواية التي في المغازي «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء» قال : وبهذا تظهر مناسبة هذا الحديث للترجمة**، لكنه جرى على عادته في ادخال الحديث في الباب للفظة تكون في بعض طرقه هي المناسبة

لذلك الباب يشير إليها ويريد بذلك شحذ الأذهان والبعث على كثرة الاستحضار .

قال : وقد حكى البيهقي عن أبي بكر الضبعي قال : العرب تضع «في» موضع «على» كقوله : ﴿فسيحوا فى الأرض﴾ وقوله : ﴿لأصلبنكم فى جذوع النخل﴾ فكذلك قوله : ﴿من فى السماء﴾ أي على العرش فوق السماء كما صحت الأخبار بذلك .

قلت : وبهذا يتضح ما قصده البخاري بهذا العنوان في كتاب التوحيد ، والآيات والأحاديث الدالة على علو الله ، وقد أوضح ذلك بما في رواية أبي سعيد الخدري التي سبق نصها وهو قوله ﷺ : «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء» أي في العلو، كما ذكر عن الضبعى معنى «في» وسبق ذكر ذلك .

هذا ما نص عليه البخاري لأن رسول الله ﷺ قال ذلك ، وأوضح ابن حجر ان ذلك ثابت كما نصت عليه الأخبار .

وحيث ان الناقد قد استدل على رأيه في التأويل بأن الذي يقول بذلك السبكى وابن بطال ، والخطابي ، وابن فورك . ونحن نقول للناقد ان هؤلاء من المعروفين بالتأويل لنصوص الكتاب والسنة الصحيحة في مجال العقيدة ، وهم وغيرهم ممن سلك مسلكهم ، لا دليل عندهم لتأويل تلك النصوص إلا عرضها على عقولهم فما قبلته أمضوه وما ردته ردوه ، ومعيار ذلك هو قياس الغائب على الشاهد ، فكل وصف فيه اشتراك لفظي في التسمية لا يعرفون منه إلا ما هو في الشاهد فيردونه بحجة التنزيه ، وهو التعطيل بعينه ، ولما كان الحَكَمُ هو العقل وجدنا الاختلاف كثيرا فما ينفيه الجهمي يثبته عقل المعتزلى وهكذا دواليك . بل إننا نجد الذهبي ينقل في العلو عن الخطابي وابن فورك خلاف ما نقله عنهما الناقد .

ولما كان المثبتون للنصوص يثبتونها على أساس قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ . فقد رأيت انه من المناسب أن أورد هنا مقتطفات مما أورده الذهبي في كتابه «العلو» ليتضح للقارىء موقف سلف هذه الأمة من نصوص كتاب الله وسنة رسوله في أسماء الله وصفاته، من صحابة وتابعين وأئمة وعلماء على اختلاف طبقاتهم وما ورد عنهم في صفة العلو التي ينكرها الناقد. ثم اتبعه ببعض ما أورده ابن القيم في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية على المعطلة الجهمية» فقد حشد تلك الجيوش الكثيرة على هؤلاء المعطلة من جميع أصناف العلماء حتى ختم ذلك بقول المؤمنين من الجن وبقول النمل .

١٢ـ الإمام الذهبي يثبت العلوية على خلقه في كتابه العلو

ونبدأ بقول الذهبي رحمه الله تعالى وذلك من كتابه «العلو للعلي الغفار» وعنوان الكتاب واضح في إثبات العلو لله تعالى ورد على من أنكر ذلك قديما وحديثا ومن المنكرين المعاصرين الناقد للهروي عبد الله بن محمد الصديق الذي قال عن حديث الجارية الذي رواه مسلم وغيره انه شاذ ومردود وسنجد أن أول حديث أورده الذهبي في كتابه هذا هو حديث الجارية وقال انه متواتر .

وقد رأيت انه من المناسب أيضاً أن أورد خطبة الكتاب، ثم اتبعها بالإشارة إلى الأحاديث والآثار وذكر عددها، ثم أتبع ذلك بأقوال بعض الأئمة الذين أورد أقوالهم ليتضح لطالب الحق أن سلف هذه الأمة يقفون من نصوص الكتاب والسنة الصحيحة موقف الإيمان بها والتسليم، ولا يتجرؤ ون عليها فيحرفونها عن مواضعها لعلمهم أن الله أعلم بنفسه من خلقه ورسوله أعلم الخلق بالله وبما يجوز عليه وما يمتنع، فهو أخشى الأمة لله وأتقاهم له .

يقول الذهبي في خطبة كتابه :

الحمد لله العلي العظيم، رب العرش العظيم، على نعمه السابغة

الظاهرة والباطنة، والحمد لله على نعمة التوحيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توجب من فضله المزيد، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم الأنبياء والشفيع في اليوم الشديد، صلى الله عليه وعلى آله صلاة ادخرها ليوم الوعيد .

أما بعد : فإني كنت سنة ثمان وتسعين وستمائة جمعت أحاديث وآثارا في مسألة العلو. وفاتني الكلام على بعضها ولم استوعب ما ورد في ذلك، فذيلت على ذلك مؤلفا أوله :

«**سبحان الله العظيم وبحمده على حلمه بعد علمه**» : والآن فأرتب المجموع وأوضحه هنا وبالله استعين وهو حسبنا ونعم الوكيل. قال الله تعالى ـ ومن أصدق من الله قيلا : ﴿**ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾، وقال تعالى : ﴿**وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء**﴾ وقال تعالى فى وصف كتابه العزيز : ﴿**تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى**﴾ .

وبعد أن سرد عددا من الآيات الدالة على العلو الصريحة في الاستواء على العرش ومنها قوله تعالى : ﴿**وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا**﴾ وهي الآية التي أخذ الناقد جزءا منها كما سبق بيان ذلك .

قال ـ أي الذهبي : فإن أحببت ياعبد الله الانصاف فقف مع نصوص القرآن والسنن، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات وما حكوه من مذاهب السلف، فإما ان **تنطق بعلم** واما أن **تسكت بحلم**، ودع المراء والجدال فإن المراء في القرآن كفر،

كما نطق بذلك الحديث الصحيح، وسترى أقوال الأئمة في ذلك على طبقاتهم بعد سرد الأحاديث النبوية. جمع الله قلوبنا على التقوى وجنبنا المراء والهوى فإننا على أصل صحيح وعقد متين من أن الله تقدس اسمه لا مثل له، وإن إيماننا بما ثبت من نعوته كإيماننا بذاته المقدسة، والصفات تابعة للموصوف، فنتعقل وجود الباري وتميز ذاته المقدسة عن الأشباه من غير ان نتعقل الماهية، فكذلك القول في صفاته، نؤمن بها ونعقل وجودها ونعلمها في الجملة من غير ان نتعقلها أو نشبهها أو نكيفها أو نمثلها بصفات خلقه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. فالاستواء كما قال مالك الإمام وجماعة «معلوم والكيف مجهول».

وبعد هذه المقدمة القيمة التي ذكر فيها الآيات الصريحة، وذكر ما ينبغي للمسلم ان يعتقده في خالقه، بدء بذكر الأحاديث النبوية كما وعد. وأول حديث بدء به هو حديث الجارية الذي يقول فيه الناقد: انه شاذ ومردود.

أما الذهبي فيقول: فمن الأحاديث المتواترة الواردة في العلو: حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي فأطلعتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة، وأنا رجل من بني آدم فأسفت فصككتها. فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعظم ذلك علي، فقلت: يارسول الله أفلا أعتقها؟ قال: ادعها. فدعوتها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله ﷺ. قال: اعتقها فإنها مؤمنة.

قال الذهبي: هذا حديث صحيح رواه جماعة من الثقاة، أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم، يمرونه كما جاء ولا يتعرضون له بتأويل ولا تحريف. ثم سرد بعد هذا الحديث ستة وتسعين حديثا وأثرا. تثبت العلو لله سبحانه. فالأحاديث منها ما هو متفق

عليه، أو في أحد الصحيحين، أو في السنن والمسانيد. والأثار كلها ما بين صحيح وحسن[1].

ثم أردف ذلك بذكر أقوال التابعين في مسألة العلو، كقول مسروق رحمه الله فإنه كان إذا حدث عن عائشة أم المؤمنين قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرأة من فوق سبع سموات. الحديث رقم (٩٨). ثم ذكر عن التابعين عشرين قولا أسانيدها صحيحة كما في مختصر العلو.

وبعد أن انتهى من ذكر أقوال بعض التابعين قال: «**ذكر ما قاله الأئمة عند ظهور الجهم ومقالته**»:

١ ـ فبدأ بذكر قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله وهو: ان الله في السماء ومن انكر ذلك فقد كفر.

قال أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا اعرف ربي في السماء أو في الأرض. فقال: قد كفر لأن الله تعالى يقول: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ وعرشه فوق سماواته[2].

٢ ـ ثم ذكر ابن جريج شيخ الحرم ومفتي الحجاز، قال: كان عرشه على الماء قبل أن يخلق الخلق.

٣ ـ وقول الأوزاعي عالم أهل الشام في زمانه، قال: روى أبو عبد الله الحاكم عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: ان الله

---

(١) انظر مختصر العلو ص ٨٠ ـ ١٢٧ اختصار الألباني.

(١) مختصر العلو ١٣٣ قال الألباني: وما ورد من تأويل في الفقه الأكبر من شارحه أبي منصور، لاقيمة له، لأنه ترك استدلال أبي حنيفة بالآية وهي قوله: لأن الله يقول «الرحمن على العرش استوى».
قلت: ومذهب أبي حنيفة مذهب السلف يثبت الصفات لله تعالى كما اثبتها لنفسه ولا يؤولها.

عز وجل فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته .

وقال : عليك بآثار من سلف وان رفضك الناس وإياك وأراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول. ثم اتبع أقوال هؤلاء بقول :

٤ ـ مقاتل بن حيان عالم خراسان . قبل ١٥٠ هـ .

٥ ـ سفيان الثوري عالم زمانه. ٩٧ ـ ١٦١هـ.

٦ ـ مالك إمام دار الهجرة . ٩٣ ـ ١٧٩هـ.

قال الذهبي : قال إسحاق بن عيسى الطباع . قال مالك : كلما جاءنا رجل اجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله .

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية : حدثني أبي فذكر سنده عن عبد الله بن نافع قال : قال مالك بن أنس : الله في السماء وعلمه في كل مكان. لا يخلو منه شيء»[1]. ثم سرد الروايات الأخرى عن مالك .

٧ ـ ثم اتبع ذلك بقول، الليث بن سعد عالم مصر. (. . . ـ ١٧٥).

٨ ـ وسلام بن أبي مطيع من أئمة البصرة (. . . ـ ١٦٤).

٩ ـ وحماد بن سلمة، إمام أهل البصرة. (. . . ـ ١٦٧).

١٠ ـ وعبد العزيز بن الماجشون، مفتى المدينة وعالمها مع مالك

---

(١) قال الألباني في مختصر العلو ص ١٤٠ : أخرجه عبد الله في السنة مرة، وكذا أبو داود في المسائل ص ٢٦٣ ، والآجري ص ٢٨٩ ، واللالكائي (ق ١ / ٩٢ / ٢ وسنده صحيح، واحتج به الامام أحمد في رواية الآجري، وقول الكوثري في مقدمته على الأسماء والصفات (ص ط) : فيه عبد الله بن نافع الأصم صاحب المناكير عن مالك فهو تزويره أوتدليسه، فإن أحدا من أئمة الجرح لم يجرحه بهذا القول، بل قالوا في روايته عن مالك خاصة : أعلم الناس برأي مالك وحديثه . فراجع له «التهذيب» إن شئت.

وأما وصفه بالأصم، فهو عين الوهم، وإنما هو الصائغ .

(. . . ـ ١٦٤). وبعد أن ذكر عنه مذهبه في إثبات الصفات قال : كان عبد العزيز من بحور العلم بالحجاز، نودي مرة بالمدينة بأمر المنصور : لا يفتى الناس إلا مالك وعبد العزيز بن الماجشون .

١١ ـ وحماد بن زيد البصرى الحافظ ، أحد الأعلام . (٩٨ ـ ١٧٩) توفى هو ومالك في سنة . قال سليمان بن حرب سمعت حماد بن زيد يقول : إنما يريدون على ان يقولوا ليس في السماء إله. يعني الجهمية .

١٢ ـ وابن أبي ليلى ، قاضي الكوفة وعالمها . (. . . ـ ١٤٨) .

١٣ ـ وجعفر الصادق ، سيد العلويين في زمانه وأحد أئمة الحجاز لم يلحق بالصحابة . (. . . ـ ١٤٨)

١٤ ـ وسلام مقرىء البصرة . (. . . ـ ١٧١) .

١٥ ـ وشريك القاضي ، أحد الكبار . (. . . ـ ١٧ و١٧٨) .

قال عباد بن العوام : قدم علينا شريك بن عبد الله منذ نحو من خمسين سنة ، فقلنا له : ياأبا عبد الله ، ان عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث : أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، وان أهل الجنة يرون ربهم ، فحدثني شريك بنحو من عشرة أحاديث في هذا ثم قال : اما نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن الصحابة ، فهم عمن أخذوا ؟[1] .

١٦ ـ ومحمد بن إسحاق ، إمام أهل المغازي (. . . ـ ١٥٠) .

١٧ ـ ومسعر بن كدام أحد الأئمة . (. . . ٣ أو ١٥٥) .

---

(١) قال الألباني بعد ذكر سنده : قلت : وهذا إسناد صحيح ورجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير سلم بن قادم ، وقد وثقه الخطيب فى «التأريخ» ٩/١٤٥ ، وهذه فائدة لم ترد فى «اللسان» فلتضم إليه .

وأخرجه ابن منده فى «التوحيد» (ق١/٩٧) من طريق أخرى عن عباد نحوه، ولفظه : وما ينكرون؟ إنما جاء بهذه من جاء بالصلاة والسنن عن رسول الله ﷺ وسنده صحيح . مختصر العلوص ١٤٩ .

قلت : وهو فى «التوحيد» لابن منده ح رقم ٥٢٢ .

وسيظهر قريبا إن شاء الله .

ثم قال الذهبي : «طبقة أخرى تالية لمن مضى» .

١٨ - جرير الضبي محدث الري . قال يحيى بن المغيرة، سمعت جرير بن عبد الحميد يقول : كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا : **ليس في السماء إله**(١).

١٩ - عبد الله بن المبارك شيخ الإسلام (١١٨ - ١٨١) .

قال : صح عن علي بن الحسن عن شقيق قال : قلت لعبد الله بن المبارك : كيف نعرف ربنا عز وجل ؟ قال : في السماء السابعة على عرشه ولا نقول كما تقول الجهمية : انه هاهنا في الأرض . فقيل هذا لأحمد بن حنبل، فقال : هكذا هو عندنا .

٢٠ - والفضيل بن عياض شيخ الحرم (. . . - ١٨٧).

٢١ - وهشيم بن بشير، عالم أهل بغداد. (. . . - **١٨٣**) وقد ذكر عنه مسألة خلق القرآن فقال : قال أبوحاتم الرازي : حدثنا محمد بن يحيى بن أبي سمينة قال : جاء رجل إلى هشيم فقال : إن لنا إماما يقول : إن القرآن مخلوق، فقال : إقرأ عليه آخر الحشر، فإن زعم انه مخلوق فقدرت أن تضرب عنقه فاضرب عنقه، وكذا قال أحمد بن يونس سمعت ابن المبارك يقول : من قال **﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾** مخلوق، فهو كافر(١).

٢٢ - نوح الجامع فقيه خراسان. (. . . - **١٧٣**). ذكره الذهبي - لأنه أورد حديث مسلم(٢)، في قصة الجارية : أين الله ؟ قالت : في

(١) تقدم قول حماد بن زيد نحو هذا.

(٢) قال الألباني فى مختصر العلو ص ١٥٣ إسناده جيد.

(٣) قلت : حديث الجارية رواه مسلم وغيره كما تقدم، وهو أول حديث ذكره الذهبي . أما نوح فلا يعتمد عليه فى الرواية.

السماء، قال : اعتقها فإنها مؤمنة . ثم قال : سماها النبي ﷺ مؤمنة ان عرفت ان الله عز وجل في السماء .

٢٣ ـ وعباد بن العوام ، محدث واسط . (. . . ـ ١٨٥) .

٢٤ ـ والقاضي أبو يوسف رحمه الله . (. . . ـ ١٨٢) . ونقل من كلامه فقال : ثبت عن أبي يوسف رحمه الله أنه قال : من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن تتبع غريب الحديث كذب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم، حدثنا علي بن الحسن الكراعي : قال أبو يوسف : ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر فاتفق رأينا على ان من قال : القرآن مخلوق فهو كافر[1] .

٢٥ ـ عبد الله بن إدريس، أحد الأعلام . (. . . ـ ١٩٢) قال أبو حاتم الرازي : حدثنا أبو الحسن الصباح قال : سئل عبد الله بن ادريس فقيل له : ان قبلنا قوما يقولون : القرآن مخلوق . قال : من النصارى ؟ قيل لا . قال : فمن اليهود ؟ قيل : لا قال : من المجوس ؟ قيل : لا . قال : ممن ؟ قيل من المسلمين . قال : ماهم بمسلمين، ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم، فالله لا يكون مخلوقا، والرحمن لا يكون مخلوقا، والرحيم لا يكون مخلوقا، هؤلاء زنادقة[2] .

٢٦ ـ ومحمد بن الحسن فقيه العراق (١٣١ ـ ١٨٩) .

٢٧ ـ وبكير بن جعفر السليمي من علماء جرجان .

٢٨ ـ وبشر بن عمر الزهراني الحافظ . (. . . ـ ٢٠٧) .

---

(١) قال الألباني فى مختصر العلو ص ١٥٥ : وهذا إسناد جيد .

(٢) قال الألباني فى مختصر العلو ص ١٥٨ إسناده صحيح .

٢٩ ـ ويحيى القطان سيد الحفاظ. (١٢٠ ـ ١٩٨). قال : كيف بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ يقولون هذا مخلوق[١].

٣٠ ـ ومنصور بن عمار، واعظ زمانه .

٣١ ـ وأبو نعيم البلخي ـ شجاع بن أبي نصر المقري من كبار أصحاب أبي عمرو بن العلاء .

٣٢ ـ وأبو معاذ البلخي الفقيه. قال ابن أبي حاتم : حدثنا زكريا ابن داود بن بكر سمعت أبا قدامة السرخسي، سمعت أبا معاذ خالد بن سليمان بفرغانة يقول : كان جهم على معبر ترمذ، وكان فصيح اللسان ولم يكن له علم ولا مجالسة لأهل العلم، فكلمه السمنية، فقالوا له : صف لنا ربك عز وجل الذي تعبده، فدخل البيت لا يخرج منه، ثم خرج إليهم بعد أيام، فقال : هو هذا الهواء مع كل شيء، وفي كل شيء، ولا يخلو منه شيء، فقال أبو معاذ : كذب عدو الله، بل الله جل جلاله على العرش كما وصف نفسه[٢].

٣٣ ـ وسفيان بن عيينة : أحد الأعلام. (١٠٧ ـ ١٩٨).

٣٤ ـ وأبوبكر بن عياش، ذاك الإمام. (. . . ـ ١٩٤).

٣٥ ـ وعلي بن عاصم، محدث واسط. (١٠٨ ـ ٢٠١).

٣٦ ـ ويزيد بن هارون، شيخ الإسلام. (. . . ـ ٢٠٦). قال الذهبي : قال شاذ بن يحيى : سمعت يزيد بن هارون وقيل له : مَنْ الجهمية ؟ قال : من زعم ان الرحمن على العرش استوى، على خلاف ما يَقر في قلوب العامة فهو جهمي .

قال الذهبي : (يَقر) مخفف، و(العامة) مراده بهم جمهور الأمة

---

(١) قال الألباني في مختصر العلوص ١٦٠ : هذا إسناد صحيح.

(٢) قال الألباني في مختصر العلوص ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ إسناده صحيح.

وأهـل العلم، والـذي وقـر في قلوبهم من الآيـة هومادل عليه الخطاب مع يقـينهم بأن المستـوى ليس كمثله شيء. هذا الـذي وقـر في فطـرهم السليمة، وأذهانهم الصحيحة. ولو كان له معنى وراء ذلك لتفوهوا به ولما أهملوه، ولـو تأول أحـد منهم الاستـواء لتوفرت الهمم على نقله، ولونقل لاشتهر فإن كان في بعض جهلة الأغبياء من يفهم من الاستواء ما يوجب نقصاً أو قيـاسـا للشاهـد على الغائب، وللمخلوق على الخالق، فهذا نادر، فمن نطق بذلـك زجـر وعلّم، ومـا أظن ان أحداً من العامة يَقِر في نفسه ذلك. والله أعلم.[1] اهـ.

٣٧ ـ وسعيـد بن عامر الضبعي، عالم البصـرة. (١٢٢ ـ ٢٠٨).
قال عبـد الـرحمن بن أبي حاتم: حدثنا أبي قال: حدثت عن سعيد بن عامر الضبعي انه ذكر الجهمية فقال: هم شرٌ قولاً من اليهود والنصارى، قد اجتمع اليهود والنصارى، وأهل الأديان مع المسلمين على ان الله عز وجل على العرش، وقالوا هم: ليس على شيء.

٣٨ ـ ووكيع بن الجراح، عالم الكوفة. (١٢٧ ـ ١٩٧).

٣٩ ـ وعبد الرحمن بن مهدي، الإمام. (١٢٥ ـ ١٩٨).

٤٠ ـ ووهب بن جرير، من أئمة البصرة. (. . . ـ ٢٠٦).

٤١ ـ والأصمعي، عالم وقته.

٤٢ ـ والخليل بن أحمد، إمام العربية. (. . . ـ بعد ١٦٠).

٤٣ ـ والفراء إمام العربية. (. . . ـ ٢٠٧).

٤٤ ـ والخريبي، أحد أئمة الأثر. (١٢٦ ـ ٢١٣).

٤٥ ـ وعبد الله بن أبي جعفر الرازي.

---

(١) العلوص ١١٧.
والمختصر ص ١٦٧.

٤٦ ـ والنضر بن محمد المروزي . (. . . ـ ٢٠٣) . ثم قال الذهبي : «طبقة الشافعي وأحمد رضي الله عنهما» .

٤٧ ـ الشافعي . (١٥٠ ـ ٢٠٤) . ذكر عقيدته وفيها : ان الله على عرشه في سمائه ، يقرب من خلقه كيف يشاء ، وينزل إلى السماء الدنيا كيف يشاء . . . وذكر سائر الاعتقاد(١) .

٤٨ ـ والقعنبي ، ذاك الإمام . (. . . ـ ٢٢١) .

٤٩ ـ وعفان ، أحد اعلام السنة . (. . . ـ بعد ٢١٩) .

٥٠ ـ وعاصم بن علي شيخ البخاري . (. . . ـ ٢٢١) . قال : روينا عن عاصم بن علي بن عاصم الواسطي قال : ناظرت جهما فتبين من كلامه انه لا يؤمن أن في السماء رباً .

٥١ ـ والحميدي عبد الله بن الزبير . (. . . ـ ٢١٩) .

٥٢ ـ وعالم المشرق ، يحيى بن يحيى النيسابوري . (. . . ـ ٢٢٦) . قال ابن منده : انبأ محمد بن يعقوب الشيباني حدثنا محمد بن عمرو بن النضر حدثنا يحيى بن يحيى قال : كنت عند مالك فجاءه رجل فقال : ياأبا عبد الله «الرحمن على العرش استوى» فأطرق ثم قال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة» .

٥٣ ـ وعالم الري ، هشام بن عبيد الله الرازي . (. . . ـ ٢٢١) .

٥٤ ـ وفقيه المدينة ، عبد الملك بن الماجشون . (. . . ـ ٢١٤) .

٥٥ ـ ومحمد بن مصعب العابد ، شيخ بغداد . (. . . ـ ٢٢٨) .

٥٦ ـ وسنيد بن داود المصيصي الحافظ . (. . . ـ ٢٢٦) .

---

(١) العلو ص ١٢٠ .
والمختصر ص ١٧٦ .

٥٧ ـ ونعيم بن حماد الخزاعي الحافظ. **(١٤٦ ـ ٢٢٨)**.

٥٨ ـ وبشر الحافي، زاهد العصر. **(١٥١ ـ ٢٢٧)**.

٥٩ ـ وأبو عبيد القاسم بن سلام. **(١٥٠ ـ ٢٢٤)**.

٦٠ ـ وأحمد بن نصر الخزاعي الشهيد. **(. . . ـ ٢٣١)**. قال ابراهيم الحربي فيما صح عنه: قال أحمد بن نصر ـ وسئل عن علم الله؟ فقال: علم الله معنا وهو **على عرشه**، وسئل عن القرآن؟ فقال: كلام الله، فقيل له: أمخلوق؟ قال: لا.

٦١ ـ زوجة مكي: قال أحمد بن علي الأبار: حدثنا محمد بن عبد الرحمن البلخي، قال مكي بن ابراهيم: دخلت امرأة جهم على زوجتى فقالت: يا أم ابراهيم، هذا زوجك الذي يحدث عن العرش، من نجرّه؟ قالت **نجره الذي نجر أسنانك**. قال: وكانت **بادية الأسنان**.

٦٢ ـ قتيبة بن سعيد، شيخ خراسان. **(١٥٠ ـ ٢٤٠)**. روى بإسناده حدثنا أبو العباس السراج قال: سمعت قتيبة بن سعيد يقول: هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة: نعرف ربنا في السماء السابعة **على عرشه**، كما قال جل جلاله: **﴿الرحمن على العرش استوى﴾**. وكذا نقل موسى بن هارون عن قتيبة انه قال: نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه[1].

قال: فهذا قتيبة في إمامته وصدقه قد **نقل الإجماع على المسألة**، وقد لقى مالكا والليث وحماد بن زيد والكبار، وعُمرّ دهرا وازدحم الحفاظ على بابه، قال لرجل: أقم عندنا هذه الشتوة حتى أخرج لك عن خمسة أناسي مائة ألف حديث. مات سنة أربعين ومائتين[2]. اهـ.

---

(١) العلو ص ١٢٨.
ومختصر العلو ص ١٨٧.

٦٣ ـ وأبو معمر القطيعي الحافظ. (. . . ـ ٢٣٦). ساق الذهبي بإسناده عنه انه قال : آخر كلام الجهمية : انه **ليس في السماء إله**.

٦٤ ـ ويحيى بن معين سيد الحفاظ. (. . . ـ ٢٣٣).

٦٥ ـ وعلي بن المديني، إمام المحدثين. (. . . ـ ٢٣٤). روى بإسناده قال : سئل علي بن المديني وأنا اسمع : ما قول أهل الجماعة ؟ قال : يؤمنون بالرؤية وبالكلام، وان الله عز وجل فوق السموات **على عرشه استوى**. فسئل عن قوله تعالى : ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**﴾ فقال : إقرأ ما قبله ﴿**الم تر أن الله يعلم**﴾. ثم قال : قد أكثر البخاري في صحيحه عن علي بن المديني، وقال : ما استصغرت نفسي إلا بين يدي ابن المديني، مات في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين»[1]. اهـ.

٦٦ ـ وأحمد بن حنبل شيخ الإسلام رحمه الله وطيب ثراه وجعل الجنة مثواه. (١٦٤ ـ ٢٤١). **ثم قال الذهبي** : المنقول عن هذا الإمام في هذا الباب طيب كثير مبارك فيه، فهو حامل لواء السنة والصابر في المحنة. . . الخ.

إلى أن قال : فقال يوسف بن موسى القطان شيخ أبي بكر الخلال : قيل لأبي عبد الله : الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال : نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه[2].

٦٧ ـ واسحاق بن راهويه، عالم خراسان. (١٦٦ ـ ٢٣٨). قال حرب بن اسماعيل الكرماني : قلت لإسحاق بن راهويه : قوله تعالى : ﴿**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**﴾ كيف نقول فيه ؟ قال :

(١، ٢) العلوص ١٢٩ ـ ١٣٠.
ومختصر العلوص ١٨٩.

حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه، ثم ذكر عن ابن المبارك قوله: هو على عرشه بائن من خلقه، ثم قال: أعلى شيء في ذلك وأبينه قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾[1].
وباسناده ـ قال اسحاق بن راهويه قال الله ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ إجماع أهل العلم انه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة. ثم قال: اسمع ويحك إلى هذا الإمام كيف نقل الإجماع على هذه المسألة الشريفة كما نقله في زمانه قتيبة المذكور[2].

٦٨ ـ وأبو عبد الله ابن الأعرابي، لغوي زمانه. **(١٥١ ـ ٢٣١)**.
بإسناده عن محمد بن أحمد بن النضر بن بنت معاوية بن عمرو، قال: كان أبو عبد الله الأعرابي جارنا، وكان ليله أحسن ليل، وذكر لنا أن ابن أبي داود سأله: أتعرف في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: لا أعرفه.

وعن نفطويه: حدثنا داود بن علي قال: كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال: ياأبا عبد الله، ما معنى قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾. قال: هو على عرشه كما أخبر، فقال الرجل: ليس كذلك، انما معناه: استولى. فقال: أسكت، ما يدريك ما هذا؟ العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب، قيل: استولى، والله تعالى لا مضاد له، وهو على عرشه كما أخبر. ثم قال: الاستيلاء بعد المغالبة، قال النابغة:
ألا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد[3].

---

(١) العلو ص ١٣١.
ومختصر العلو ص ١٩١.
(٢) العلو ص ١٣٢.
ومختصر العلو ص ١٩٤.
(٣) العلو ص ١٣٣.
ومختصر العلو ص ١٩٥.

٦٩ ـ وأبو جعفر النفيلي، عالم أهل الجزيرة. (... ـ ٢٣٤).

٧٠ ـ والعيشي، من علماء البصرة. (... ـ ٢٢٨).

٧١ ـ وهشام بن عمار، عالم أهل الشام. (... ـ ٢٤٥).

٧٢ ـ وذو النون، شيخ الديار المصرية وواعظهم. (... ـ ٢٤٥).

٧٣ ـ وأبو ثور، من أئمة الاجتهاد. (... ـ ٢٤٠).

قال الذهبي: «طبقة أخرى» (منهم: المزني، والذهلي، والبخاري، وأبو زرعة).

٧٤ ـ ثم بدأ بالمزنى: (... ـ ٢٦٤) فذكر عقيدته من طريق محمد بن اسماعيل الترمذي سمعت المزني يقول، وفيها قوله: لا يصح لأحد توحيد حتى يعلم أن الله على عرشه بصفاته. قلت: مثل أي شيء؟. قال: سميع بصير، عليم، قدير.

٧٥ ـ والذهلي. (... ـ ٢٥٨). ثم ذكر عقيدته[1].

٧٦ ـ والبخاري رضي الله عنه. (١٩٤ ـ ٢٥٦):

قال: قال الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل في آخر «الجامع الصحيح» في كتاب «الرد على الجهمية»[2] باب قوله تعالى: ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾[3] قال أبو العالية: استوى إلى السماء: ارتفع.

وقال مجاهد في «استوى» علا على العرش، وقالت زينب أم المؤمنين رضي الله عنها: «زوجنى الله من فوق سبع سموات».

---

(١) العلو ص ١٣٥.
ومختصر العلو ص ٢٠١.

(٢) قال الألبانى فى مختصر العلو: هكذا فى بعض النسخ «الجامع الصحيح» وفى بعضها «كتاب التوحيد» وهو الذي فى النسخ المطبوعة.

(٣) كتاب التوحيد/ فتح البارى ١٣/ ٤٠٣.

ثم إنه بوب على أكثر ما تنكره الجهمية من العلو، والكلام، واليدين، والعينين، محتجاً بالآيات والأحاديث. فمن ذلك قوله : باب قوله : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾[1]. وباب قوله : ﴿لما خلقت بيدى﴾[2] وباب قوله : ﴿ولتصنع على عينى﴾[3]. وباب كلام الرب عز وجل مع الأنبياء[4].

وغير ذلك مما إذا تعقله اللبيب عرف من تبويبه أن الجهمية ترد ذلك، وتحرف الكلم عن مواضعه. وله مصنف مفرد سماه «كتاب أفعال العباد في مسألة القرآن. قلت : وإلى هنا اكتفى بما ذكره الذهبي عن البخاري حيث ان هذه الأبواب التي مثل بها من كتاب التوحيد في صحيح البخاري واحتجاج البخاري بالآيات والأحاديث للرد على المنكرين لها من الجهمية ومن تبعهم، كما وضح، أنه يعرف من تبويبه ان الجهمية ترد ذلك وتحرف الكلم عن مواضعه. وذلك لأن الناقد أبا الفضل عبد الله بن محمد ـ قد سلك في رده على الهروي مسلك الجهمية فرد هذه الآيات والأحاديث الواردة في صفة اليدين، والعلووغير ذلك مما سبق ذكره. كما سأكتفي بذكر جملة ممن أوردهم الذهبي في هذا الكتاب بعد هذا العدد ممن يثبتون لله سبحانه وتعالى العلوعلى خلقه واستوائه على عرشه. استواء يليق بجلاله كما أخبر بذلك في كتابه .

فقد اتبع الذهبي البخاري ـ بأبي زرعة فأكمل العدد سبعة وسبعين عالما ثم اتبعه بأبي حاتم الرازي صاحب كتاب : «الرد على الجهمية» وختمهم بالقرطبي فبلغ عددهم ١٦٨ مائة وثمانية وستين عالما كلهم يثبتون العلولله عز وجل واستواءه على عرشه. كما اخبر في كتابه .

(١) كتاب التوحيد/ فتح البارى ١٣/ ٤١٥ .
(٢) كتاب التوحيد/ فتح البارى ١٣/ ٣٩٢.
(٣) كتاب التوحيد/ فتح البارى ١٣/ ٣٨٩.
(٤) كتاب التوحيد/ فتح البارى ١٣/ ٤٧٣ .

ثم ختم كتابه هذا بالرد على النفاة المتقدمين والمتأخرين فقال : والله فوق عرشه كما اجمع عليه الصدر الأول ونقله عنهم الأئمة. وقالوا ذلك رادّين على الجهمية القائلين بأنه في كل مكان محتجين بقوله : «وهو معكم»، فهذان القولان هما اللذان كانا في زمن التابعين وتابعيهم، وهما قولان معقولان في الجملة.

فأما القول الثالث المتولد أخيرا من أنه تعالى ليس في الأمكنة، ولا خارجا عنها، ولا فوق عرشه، ولا هو متصل بالخلق ولا بمنفصل عنهم، ولا ذاته المقدسة متحيزة. ولا بائنة عن مخلوقاته، ولا في الجهات، ولا خارجا عن الجهات، ولا، ولا، فهذا شيء لا يعقل ولا يفهم، مع ما فيه من مخالفة الآيات والأخبار، فَفِرَّ بدينك، وإياك وأراء المتكلمين وآمن بالله وما جاء عن الله على مراد الله، وفوض أمرك إلى الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله[1]. اهـ.

١٣- ذِكرُ بَعضِ مَا أَورَدَهُ ابنُ قيم الجوزية في كِتَابِهِ: اجتماع الجيوش الإسلامية على المعطلة والجهمية، مِنَ الآيَاتِ وَالأحَادِيث وَأقوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَابِعِين. وَالأئمة في إثبَاتِ العُلُوِّ للهِ سُبحَانَهُ

ثانيا : ذكر بعض ما أورده (ابن القيم) في كتابه : «اجتماع الجيوش الإسلامية على المعطلة والجهمية» :

فبعد مقدمة طويلة قيمة ونافعة وإيراده أقسام التوحيد، وذكره لآيات يستدل بها عليه، ومن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون. يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم﴾.

ذكر العنوان التالى : **(إثبات استواء الرب على العرش بالآيات القرآنية)**.

(١) العلو ص ١٩٥.
ومختصر العلو ص ٢٨٧.

ثم قال : وتأمل ما في هذه الآيات من الرد على طوائف المعطلين والمشركين. فقوله : ﴿خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ يتضمن إبطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم وانه لم يزل، وان الله سبحانه لم يخلقه بقدرته ومشيئته، ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازما لذاته أزلا وأبدا غير مخلوق، كما هو قول ابن سينا، والنصير الطوسي واتباعهما من الملاحدة الجاحدين لما اتفقت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، والكتب وشهدت به العقول والفطر.

وقوله تعالى : ﴿ثم استوى على العرش﴾ يتضمن إبطال قول المعطلة والجهمية الذين يقولون : ليس على العرش شيء سوى العدم، وان الله ليس مستويا على عرشه. ولا ترفع إليه الأيدي. ولا يصعد إليه الكلم الطيب، ولا رفع المسيح عليه الصلاة والسلام إليه، ولا عرج برسوله محمد ﷺ إليه، ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا ينزل من عنده جبريل عليه الصلاة والسلام ولا غيره ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا، ولا يخافه عباده من الملائكة وغيرهم من فوقهم ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار إليه النبي ﷺ في أعظم مجامِعِه في حجة الوداع وجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكبها إلى الناس ويقول : «اللهم اشهد».

قلت : وهذه النصوص كلها التي ترد على الجهمية باطلهم، **قد تبعهم فيها الناقد أبو الفضل** عبد الله بن محمد بن الصديق؛ فأنكر دلالتها على أن الله في العلو، بل قال : **ان كون الله في السماء ليس على حقيقته** عند جماعة من العلماء بل هو مؤول على **معنى العلو المعنوي**. هذا نص كلامه، والعلماء من أهل السنة والجماعة وحتى المؤولة يعلمون ان الشيء المعنوي لا يوجد إلا في الذهن وليس له حقيقة في الخارج. وهذا هو ما سبق نصه عن العلماء، أن حقيقة كلام الجهمية انه ليس على

العرش شيء سوى العدم . والله سبحانه وتعالى موجود لاشك في وجوده ﴿**أفي الله شك فاطر السموات والأرض**﴾ .

كما أنّ هؤلاء الجهمية الذين ينكرون ان يكون الله تعالى فوق العالم مستوعلى عرشه كما اخبر بذلك عن نفسه في كتابه ، وأخبر عنه رسوله ﷺ في سنته الصحيحة ، يصادمون نصوصا من القرآن صريحة في الدلالة على علو الله على جميع مخلوقاته واستوائه على عرشه ، ونصوصا ثابتة صريحة عن رسول الله ﷺ . وأقوال سلف الأمة المثبتين لعلو الله سبحانه على جميع مخلوقاته .

وقد سبق ذكر قول مائة وثمانية وستين عالما من علماء السلف ذكرهم الذهبي في كتابه (العلو للعلي الغفار) وحكى الكثير منهم الإجماع على ذلك . فأي الفريقين أولى بالاتباع ، من وافق النصوص ، أو من أولها وحرف الكلم عن مواضعه . ونعود لكلام ابن القيم فهو يقول :

قال شيخ الإسلام : وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ . وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء ، وانه فوق العرش فوق السموات مستوعلى عرشه مثل قوله تعالى : ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾[1] وقوله : ﴿**وإذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي**﴾ . وقوله : ﴿**بل رفعه الله إليه**﴾ وقوله : ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾[2] ثم سرد ستة عشر آية مستشهدا بها على علو الله تعالى واستوائه على عرشه والله أعلم بنفسه من جميع خلقه .

(١) فاطر/ ١٠ .
(٢) النحل/ ٥٠ .

وقـد ذكـر من الآيـات قولـه تعالى : **﴿وقال فرعون ياهمان ابن لى صرحـا لعلى ابلغ الأسبـاب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وانى لأظنه كاذبا﴾**[1] .

ثم قال : قال أبـو الحسن الأشعـري : وقـد احتج بهذه الآية على الجهمية، فكذب فرعون موسى عليه السلام في قوله : ان الله فوق السماوات .

امـا النـاقـد أبـو الفضـل : فقد سبق انه أخذ جزءاً من الآية . وهو قوله : **﴿ابن لي صرحا لعلى اطلع إلى إله موسى﴾** ، **ثم قال** : لاعتقاده أن الله في السماء . والآية بتمامها تصرح أن فرعون يكذب موسى . والعلماء الأتقيـاء الـذين يخافون ربهم يصرحون بما نصت عليه الآية من ان فرعون كذب موسى عليـه السـلام . ولا أدرى ما الذي يحمل الناقد على اجتزاء الآية ثم التصريح بما يخالفها .

ونعود لكلام ابن القيم ، فبعد أن أورد تلك الآيات خلص للعنوان التـالي فقـال : **«إثبات استوائه جل وعلا بالأحاديث الصحيحة»** . **قال** : وأمـا الأحـاديث فمنهـا : قصـة المعـراج وهي متـواترة ، وتجاوز النبي ﷺ السمـوات سماء سماء ، حتى انتهى إلى ربـه تعـالى فقـرّبَه وأدْنـاه وفرض عليـه الصلوات خمسـين صلاة فلم يزل بين موسى عليـه السلام وبين ربه تبارك وتعالى وينزل من عند ربه تعالى إلى عند موسى فيسأله كم فرض عليـك ، فيخـبره فيقـول : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فيصعد إلى ربه فيسأله التخفيف .

وقد اتبع هذا الحديث بنحو عشرين حديثا دالة على علو الله على جميع مخلوقاته واستوائه على عرشه .

---

(١) غـــــافر/ ٣٦، ٣٧.

ثم قال في ص (٦٢) : «فصل فيما حفظ عن أصحاب رسول الله ﷺ. والتابعين، والأئمة الأربعة»، وغيرهم . **ثم بدأ بذكر قول أبي بكر** الصديق رضي الله عنه، واتبعه بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه : ان امرأة لقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقال لها خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها وهو يسير مع الناس، فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصْغى إليها حتى قضت حاجتها وانصرفت. فقال له رجل : ياأمير المؤمنين حبست رجالا من قريش على هذه العجوز قال : ويلك تدرى من هذه ؟ قال : لا. قال : هذه امرأة **سمع الله شكواها من فوق سبع سموات**. هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضى حاجتها الا ان تحضرني صلاة فأصليها، ثم ارجع إليها حتى تقضى حاجتها .

ثم ذكر قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، وقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وفيه : استأذن ابن عباس رضي الله عنهما على عائشة رضي الله عنها وهي تموت، فقال : كنتِ أحبَّ نساء النبي ﷺ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيبا وأنزل الله براءتك من **فوق سبع سموات** جاء بها الروح الأمين فأصبح **ليس مسجد** من مساجد الله يذكر فيها، الا وهو يتلى فيها آناء الليل وآناء النهار .

وقول عائشة رضي الله عنها. وقول زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها : وفيه قال : ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال : كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول : زوجكن أهاليكن وزوجني **الله من فوق سبع سموات** .

وقول أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وقول الصحابة كلهم رضي الله عنهم .

ثم قال في ص (٦٧) : ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالى . فبدأ بذكر قول مسروق رحمه الله ، وقول عكرمة رحمه الله ، وقول قتادة رحمه الله ، وقول سليمان التيمي رحمه الله . وقول كعب الأحبار رحمه الله ، ثم ذكر عددا منهم وفي ص (٧١) قال : قول تابع التابعين جملة رحمهم الله تعالى .

فذكر قول عبد الله بن المبارك ، وقول الأوزاعي رحمه الله تعالى .

وبعد أن ذكر عددا منهم قال في ص (٧٣) : «ذكر أقوال الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى» . **ثم قال** : قول الإمام أبي حنيفة قدس الله روحه ، وقول إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله .

ثم ذكر أقوال سبعة من العلماء وهم أئمة . وفي ص (٩٤) قال : ذكر قول الإمام محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله تعالى وقدس روحه ونور ضريحه : ثم ذكر عقيدته .

وبعد أن ذكر أقوال ستة من العلماء واصفاً لهم بأنهم أئمة . قال في ص (١١٣) : ذكر أقوال جماعة من أتباع الأئمة الأربعة ممن يقتدى بأقوالهم سوى ما تقدم . فبدأ بذكر قول أبي بكر بن وهب المالكي .

وبعد أن ذكر ستة منهم قال في ص (١٢٣) : **فصل** : في ذكر قول الإمام أحمد بن حنبل وأصحابه رحمه الله تعالى . فذكر عقيدته وفيه قال الخلال في كتاب السنة : حدثنا يوسف بن موسى قال أخبرنا عبد الله بن أحمد قال : قيل لأبي : ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال : نعم . لا يخلو شيء من علمه ، قال الخلال : وأخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال : سألت أبا عبد الله أحمد عمّن قال : ان الله تعالى ليس على العرش فقال : كلامهم كله يدور على الكفر .

وفي ص (١٣٣) قال : أقوال أئمة أهل الحديث الذين رفع الله منازلهم في العالمين وجعل لهم لسان صدق في الآخرين. ثم قال : ذكر قول إمامهم وشيخهم الذي روى له كل محدث أبو هريرة رضي الله عنه. ثم اتبعه بقول إمام الشام أبي عمر الأوزاعي رحمه الله، وقول إمام أهل الدنيا في وقته عبد الله بن المبارك رحمه الله، قال : وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر أنه قيل له : بماذا نعرف ربنا؟ قال : بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه. ذكره البيهقي وقبله الحاكم. وقبله الدارمي عثمان، وقد تقدم.

وبعد أن ذكر منهم تسعة وثلاثين عالما مع ذكر نماذج من أقوالهم قال في ص (١٥٧) : قول أئمة التفسير.

ثم قال : هذا باب لا يمكن استيعابه لكثرة ما يوجد من كلام أهل السنة في التفسير، وهو بحر لا ساحل له، وإنما نذكر طرفا منه يسيرا يكون منبها على ما وراءه، فمن أراد الوقوف عليه فهذه تفاسير السلف وأهل السنة موجودة، فمن طلبها وجدها.

ثم قال : قول إمامهم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : وذكر نماذج من أقواله، ثم ذكر عشرين عالما مع ذكر نماذج من أقوالهم.

وفي ص (١٦٧) قال : أقوال أئمة اللغة العربية الذين يحتج بقولهم فيها. **وبدأ بذكر** قول أبي عبيدة معمر بن المثنى، وقول يحيى بن زياد الفراء، وقول أبي العباس ثعلبْ، وقول أبي عبد الله محمد بن الأعرابي، وفيه : قال ابن عرفة في كتاب الرد على الجهمية، حدثنا داود بن علي

قال : كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال : ما معنى قوله تعالى : ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ قال : هو على عرشه كما أخبر، فقال يا أبا عبد الله إنما معناه استولى. فقال : اسكت. لا يقال استولى على

الشيء حتى يكون له فيه مضاد فإذا غلب أحدهما قيل استولى كما قال النابغة :

ألا لمثلك أو من أنت سابقه   سبق الجواد إذا استولى على الأمد

قال محمد بن النضر : سمعت ابن الأعرابي صاحب اللغة يقول : أرادني ابن أبي دؤاد أن أطلب له في بعض لغات العرب ومعانيها : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ استوى بمعنى استولى ، **فقلت له : والله ما يكون هذا ولا وجدته .**

ثم ذكر قول الخليل بن أحمد شيخ سيبويه ، وابراهيم بن محمد بن عرفة النحوي ، والأخفش .

وفي ص (١٦٩) قال : «أقوال الزهاد والصوفية أهل الاتباع وسلفهم» . وبدء بذكر قول : ثابت البناني شيخ الزهاد رحمه الله ، وقول مالك بن دينار رحمه الله ، وقول سليمان التيمي رحمه الله . ثم ذكر أقوال ستة عشر عالما ختمها بقول الإمام يحيى بن عمار السجزي رحمه الله تعالى شيخ أبي إسماعيل الأنصاري ، إمام الصوفية في وقته . قال في رسالته في السنة بعد كلام : بل نقول هو بذاته على العرش ، وعلمه محيط بكل شيء ، وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء ، وهو معنى قول الله تعالى : ﴿**وهو معكم**﴾ ورسالته موجودة مشهورة . ص (١٧٧) .

وفي ص (١٧٨) **قال** : أقوال الشارحين لأسماء الله الحسنى . وذكر قول القرطبي .

وفي ص (١٧٩) **قال** : أقوال أئمة الكلام من أهل الإثبات المخالفين للجهمية والمعتزلة والمعطلة .

فبدأ بذكر قول : أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ، وقول أبي الحسن الأشعري ، وقول القاضي أبي بكر الباقلاني الأشعري :

قال : في كتاب التمهيد في أصول الدين، وهو أشهر كتبه. فإن قال قائل : فهل تقولون أن الله في كل مكان ؟ قيل معاذ الله بل هو مستو على العرش. كما أخبر في كتابه فقال عز وجل : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾، ﴿أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الأرض﴾. وغير ذلك من الآيات الدالة على علو الله سبحانه وتعالى.

كما ذكر قول الفخر الرازي في كتابه أقسام اللذات الذي صنفه في آخر عمره. وفيه الأبيات المشهورة :

«نهاية اقدام العقول عقال   وغاية سعي العالمين ضلال

ثم قال رأيت الأصوب الأصلح في هذا الباب طريقة القرآن العظيم والفرقان الكريم، وهو ترك التعمق... ثم قال : فاقرأ في التنزيه قوله تعالى : ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾، ﴿ليس كمثله شيء﴾ وفي الإثبات قوله : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ وغيرها من الآيات. الدالة على العلو. ثم ذكر قول أبي العباس المظفري.

وبعده قال في ص (١٩٧) «قول شعراء الإسلام من الصحابة رضي الله تعالى عنهم». فبدأ بقول حسان بن ثابت رضي الله عنه : شاعر رسول الله ﷺ قال محمد بن عثمان الحافظ، عن حبيب بن أبي ثابت عن حسان أنه أنشد النبي ﷺ شعرا :

شهدت بإذن الله أن محمدا   رسول الذي فوق السموات من علِ
وأن أبا يحيى ويحي كلاهما   له عمل من ربّه متقبل
وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهم   يقول بذات الله فيهم ويعدل

وقول عبد الله بن رواحة، وقول العباس بن مرداس السلمي، وقول لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك العامري الشاعر أحد شعراء

الجاهلية والإسلام، اسلم وصحب النبي ﷺ وذكر أبياتا من شعره منها :

سوّى بحكمته السماء وعرشه ... سبعا طباقا دون فرع المعقل

والأرض تحتهم مهادا راسيا ... ثُبِّتت جوانبها بصم الجندل

كما ذكر شعر أمية بن أبي الصلت الذي شهد الرسول ﷺ بالإيمان لشعره ولقلبه بالكفر. ومن أبياته قوله :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا ... فلا شيء أعلى منك جدا وأمجد

مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتسجد

عليه حجاب النور والنور حوله ... وأنهار نور حوله تتوقد

فلا بشر يسمو إليه بطرفه ... ودون حجاب النور خلق مؤيد

ثم قال في ص (٢٠٠) قول حسان السنة في وقته ؛ المتفق على قبوله الذي سار شعره مسيرة الشمس في الآفاق واتفق على قبوله الخاص والعام أيّ اتفاق، ولم يزل ينشد في المجامع العظام ولا ينكر عليه أحد من أهل الإسلام .

يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الصرصري الأنصاري . الإمام في اللغة والفقه والسنة والزهد. وقد ذكر مقتطفات من شعره تضمنت بالإضافة إلى إثبات استواء الله على عرشه وصفاته الأخرى، مواعظ ترقق القلب وتذكر بالله وباليوم الأخر ولذا فقد رأيت ان اختار بعضا مما اختاره عنه. قال ابن القيم : قال في العينية التي أولها شعرا :

تواضع لرب العرش علّك ترفع ... فقد فاز عبد للمهيمن يخضع

وداوِ بذكر الله قلبك إنّه ... لأعلى دواء للقلوب وانفع

وخذ من تقى الرحمن أمنا وعدّة ... ليوم به غير التّقي مُروّعُ

إلى ان قال:

سميع بصير ماله في صفاته ... شبيه يرى من فوق سبع ويسمع

قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه ... ومن علمه لم يخل في الأرض موضع

وقال في قصيدته التي أولها :

أسير وقلبي في هواك أسير ... فهل لي من جور الفراق مجير
واستجلب السلوى وفي القلب حرة ... فيرتد عنك الطرف وهو حسير

إلى ان قال :

نقر بأن الله جل جلاله ... سميع لأقوال العباد بصير
ويطوى السموات العلى بيمينه ... وذلك في وصف القوي يسير
وخاطب موسى بالكلام مكلماً ... فخرّ صريعا إذ تقطع طور
وخطّ له التوراة فيها مواعظ ... فلاحت على الألواح منه زبور
وان قلوب الخلق بين أصابع ... الإله فمنها ثابت ونفور
ونثبت في الأخرى لرؤية ربنا ... حديثا رواه في الصحيح جرير
وأي نعيم في الجنان لأهلها ... واني لهم لو لم يروه سرور

إلى ان قال :

ونؤمن ان العرش من فوق سبعة ... تطوف به أملاكه وتدور
قضى خلقه ثم استوى فوق عرشه ... تقدس كرسي له وصرير
هو الله ربي في السماء محجب ... وليس كمخلوق حوته قصور
إليه تعالى طيب القول صاعد ... وينزل منه بالقضاء أمور
لقد صح إسلام الجويرية التي ... بأصبعها نحو السماء تشير

قلت : والبيت الأخير هو ما تضمنه حديث مسلم ، الذي يقول الناقد انه شاذ ومردود . كما ورد مثله في القصيدة اللامية التي نظم فيها اعتقاد الشافعي رضي الله عنه أولها :

أيشعر حزب الجهم ذاك المضلل ... بأنى حرب للعدى غير افكل
تشن عليهم غيرتى وحميتى ... لدين الهدى غارات اشوس مقبل
فوقْع قريضى في صميم قلوبهم ... أشد عليهم من سنان ومنصل

إلى أن قال:

لقد بريء الحبر ابن ادريس منهم ... براءة موسى من يهود محول
ويعقد عند الشافعي يمين من ... غدا حالفا بالمصحف المتقبل
فهذا دليل منه إذ كان لا يرى ... انعقادا بمخلوق لخلق مؤبل
ومذهبه في الاستواء كمالك ... وكالسلف الأبرار أهل التفضل
ومستويا بالذات من فوق عرشه ... ولا تقل استولى فمن قال يبطل

إلى أن قال:

وإثبات إيمان الجويرية اتخذ ... دليلا عليه مسند غير مرسل

ويقصد به حديث الجارية الذي يقول عنه الناقد: إنه شاذ ومردود. كما ذكر عنه قصيدته الدالية التي أولها:

واهاً لفرط حرارة لا تبرد ... ولواعج بين الحشا تتوقد
في كل يوم سنة مدروسة ... بين الأنام وبدعة تتجدد
صدق النبي ولم يزل متسربلا ... بالصدق إذ يعد الجميل ويوعد
إذ قال يفترق الضلال ثلاثة ... زيدت على السبعين قولا يسند
وقضى بأسباب النجاة لفرقة ... تسعى بسنة مهتدين وتحفد
فإن ابتغيت إلى النجاة وسيلة ... فاقبل مقالة ناصح يتقلد

إلى أن قال:

منهم اناس في الضلال تجمعوا ... وبسبّ أصحاب النبي تفردوا

قد فارقوا جمع الهدى وجماعة ... الإسلام واجتنبوا الهدى وتمردوا
بالله ياأنصار دين محمد ... نوحوا على الدين الحنيف وعددوا

إلى أن قال:

ثم ادعوا حبّ الإمام المرتضى ... هيهات مطلبهم عليهم يبعد
ولنحن أولى بالإمام وحبّه ... عقد ندين به الإله مؤكد
وولاؤه لا يستقيم ببغضهم ... واضرب لهم مثلا يغيظ ويكمد
مثلُ الذي جحد ابن مريم وادّعى ... حبّ الكليم وتلك دعوى تفسد

وبقــذف عائشــة الطّهــور تجشمــوا	أمــرا تظــل له الــفــرائص ترعــد
تنــزيهــهــا في سبــع عشــرة آيــة	والــرافــضيّ بضــد ذلــك يشــهــد
لو ان امــر المــسـلمــين إلــيــهــم	لم يبق في هذى البسيطـة مسـجـد

إلى أن قـــال:

والجــاحــد الجــهــمى أســوأ منهــما	حالا وأخبــث في الــقــيــاس وأفســد
أمــســى لرب الــعــرش قال منــزهــا	من أنْ يكــون عليــه رب يعــبــد

وهي قصيـدة طويلة اشتملت على فوائـد جمة يحسن بطالب العلم قراءتها ثم اردف بقول عنترة وهو جاهلي .

وفي ص (٢٠٧) ذكـر أقـوال الفـلاسفة المتقدمين من الحكماء، ثم ذكر قول الجن المؤمنين، كما نص الله على ذلك في كتابه. ثم قول النمل وذكـر فيـه ما رواه الحـافـظ أبـو الحسن الدارقطنى في سننه عن أبي هريرة رضـي الله عنــه قال : قال رســول الله ﷺ : «خــرج نبي من الأنبيــاء يستسقى، فمــر بنملة مستلقيــة على ظهـرهـا رافعـة يديها إلى السماء تستسقى، فقال لأصحابه : ارجعوا فقد سقيتم .

ثم ختم الكتــاب فقـال في ص (٢١٢) : **فصـل** : في جواب من يقول : كيف يحتج علينا بأقوال الشعراء والجن وحمر الوحش .

قال : ولعـل قائـلا يقول : كيف يحتج علينا في هذه المسألة بأقوال من حَكيت قولـه ممن ليس قولـه حجة فأجلب بها، ثم لم تقنع بذلك حتى حكيت أقـوال الشعـراء ثم لم يكفـك ذلك حتى جئت بأقوال الجن، ثم لم تقتصر حتى استشهدت بالنمل وحمر الوحش، فأين الحجة في ذلك كله ؟

وجواب هذا القائل ان نقول : قد علم أن كلام الله تعالى ورسوله ﷺ وسائر أنبيائه عليهم السلام والصحابة والتابعين رضي الله عنهم ليس عنـدكم حجـة في هذه المسألـة إذ غايـة أقـوالهم أن تكون ظواهر سمعية، وأدلـة لفظيـة معـزولـة عن الثقـة متواترها يدفع إلتأويل، وآحادها يقابل بالتكذيب. فنحن لم نحتج عليكم بما حكيناه، وإنما كتبناه لأمور :

منها : أن يعلم بعض ما في الوجود ويعلم الحال من هو بها جاهل .

ومنها : أن نعلم أن أهل الإثبات أولى بالله سبحانه ورسوله ﷺ والصحابة والتابعين، وأئمة الإسلام، وطبقات أهل العلم والدين من الجهمية والمعطلة .

ومنها : أن نعرف الجهمي النافي لمن خالف من طوائف المسلمين وعلى من شهد بالتشبيه والتمثيل، وعلى من استحل بالتكفير وعرض «من» يقترف من الأمة ؟

ومنها : أن نعرف عساكر الإسلام والسنة وأمراءها، وعساكر البدع والتجهم ليتحيز المقاتل إلى إحدى الفئتين على بصيرة من أمره، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة، وأن الله لسميع عليم . . . الخ .

الباب السابع في كتاب الرد ص (١٨)، وهو الرابع عشر في الأربعين ص (٥٦) وعنوانه : **(باب وضع الله عز وجل قدمه على الكرسي)** :

قال الناقد : وروى فيه ـ أيْ الهروي ـ عن ابن عباس قال : ان الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر أحد قدره[1]. **قال** : ويروى عن أبي موسى[2] وأبي هريرة وعكرمة، وأبي مالك .

١٤- اعتراض الناقد على الاحتجاج بالموقوفات على الصحابة، وبيان موقف المؤلف من الاحتجاج بالآيات والمتواتر من السنة في إثبات صفات الله تعالى .

قال الناقد : قلت : أثر أبي موسى رواه ابن جرير الطبري في تفسيره، ورواه نحوه السدي . اما نقد الاستدلال به، فيقول : الموقوفات والمقطوعات لا يحتج بها في الأحكام الفقهية، فكيف يستدل المؤلف بها في التوحيد ؟ هذا عجيب . اهـ. ثم انتقل إلى إيراد أحاديث من عند نفسه لم ترد عند المؤلف ولم يستدل بها وهي حديث الكرسي موضع القدمين وله

(١) التخريج فى الأربعين: ابن خزيمة التوحيد ص ١٠٧ ـ ١٠٨.
الحاكم فى المستدرك/ التفسير ٢/ ٢٨٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) ابن جرير الطبرى، التفسير ٣/ ١٠ وفيه زيادة.

أطيط نقلا عن السيوطي من الدر المنثور .

ثم حديثا رواه الخطيب في التأريخ عن عبد الله بن خليفة قال : قال رسول الله ﷺ الكرسي الذي يجلس عليه الرب . . . الحديث هذا مجمل الاعتراض .

والجواب : على ذلك من وجهين : **الأول** : قوله : ان **الموقوفات** والمقطوعات لا يحتج بها . . . الخ .

أقول : اما عند أهل السنة والجماعة وهي القاعدة المتفق عليها ـ أن قول الصحابي إذا صح عنه في أمر لا مجال للرأي فيه أنهم يحتجون به .

وكما رأيت ـ صحة هذا الخبر عن ابن عباس كما في تخريج الحديث فالحاكم يقول على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ولهذا أورده ابن جرير في تفسير الآية الكريمة .

وأورده ابن خزيمة في كتاب التوحيد ، وهما أعلم وافقه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ من المؤولة كما استدل به غيرهما .

أما المؤولة ـ ومنهم الناقد ـ فهم لا يستدلون في إثبات صفات الله لا بكتاب الله العزيز ولا بصحيح السنة المتفق عليه في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث الصحيحة . ويكفى دليلا على قولي هذا ما سبق ذكره من أدلة من القرآن والسنة ـ وقد ردها المؤولة السابقون ـ وتبعهم الناقد نفسه . فلا يستغرب منه رد الموقوف على الصحابي .

بل سبق ما هو اشنع من الرد ـ وهو ما نقله الناقد عن الخطابي عفى الله عنه ـ في قوله عن ابن مسعود في حديث البخاري ـ حينما قال : فضحك رسول الله ﷺ تعجبا وتصديقاً . في حديث الحبر ، فقال : انه ظن وحسبان من ابن مسعود ، وهو أحد فقهاء الصحابة .

الوجه الثاني : إيراده للحديث المنكر أو الموضوع ـ من عند نفسه

ولم يذكره المؤلف ـ وغرضه بذلك ردّ الاستدلال، بقول ابن عباس هذا وهو صحيح ثابت عنه حيث لم يستطع الطعن في صحته. فأورد هذين الحديثين .

ثم أشار إلى ان السيوطي ذكر أثر أبي موسى وكذا ابن جرير. ثم ذكر لفظه وقال : ان السيوطى قال : هذا على سبيل الاستعارة تعالى الله عن التشبيه .

ثم اتبعه بالحديث المنكر أو الموضوع، فكأنه يقول : هذا الموقوف مثل هذا المنكر والموضوع، في عدم الاحتجاج به وسبب ذلك أن كل مؤول ينقدح في ذهنه التشبيه لأنه لا يعرف من نصوص الصفات سواء كانت في كتاب الله وسنة رسوله، الا ما يعرف من صفات المخلوق ـ فالمخرج عندهم هو التعطيل لتلك النصوص بتأويلها وصرفها عن حقائقها. وكأنهم لم يقرءوا قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ .

الباب الثامن في كتاب الرد ص (١٦)، وفي الأربعين ص (٥٧) وعنوانه : (**باب إثبات الحد لله عز وجل**) :

قال الناقد : وروى ـ أي الهروي ـ حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال في دعائه : «أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء) وهو في صحيح مسلم .

وقال : ولفظ الحد لم يأت في الكتاب ولا في السنة، وإثباته إنما يكون بدلالة الالتزام كما في هذا الحديث، على بعض معانى الظاهر، فإنه له معان كثيرة مذكورة في التفسير واللغة .

قال : ونبهنا فيما مر على انه لا يجوز إثبات صفة لله تعالى إلا إذا جاءت صريحة في القرآن أو السنة. هذا هو نص النقد الموجه للاستدلال. وما عدا ذلك فهو عبارة عن طعن ـ سنذكره بعد ذلك .

الجواب : يظهر والله أعلم ـ ان الناقد تجاهل غرض المؤلف مع العلم انني نبهت في التعليق على ذلك . ولكن الناقد لا يقبل ما يخالف هواه وإن كان حقا وليست هذه صفات العلماء .

١٥- إثبات العلو بيده على خلقه رد على الحلولية .

أما غرض المؤلف ـ من هذا العنوان وإيراد هذا الحديث الصحيح فهو الرد على الحلولية الذين يقولون بوحدة الوجود وان الله مختلط بالعالم ـ كما يقول الحلولية «ما في الجبّة إلا هو» . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

ومن المعلوم ان الذين ينكرون الفوقية واستواء الله على عرشه ـ قد شاركوا الحلولية ـ لأنهم نفوا العلو الذي هو دليل على العظمة والتنزيه ونص عليه القرآن نصا صريحا مكررا في سبع آيات ـ إضافة إلى الآيات الأخرى ـ كقوله : ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾ فقالوا : ان الله في كل مكان .

وقد سبق ما نقلناه من كتاب العلو للذهبي ـ من أن الجهم قال : ان الله في الهوى وفي كل شيء . وقال عنه العلماء الذين ناظروه وناظروا اتباعه انه ظهر من قولهم : انه لا شيء على العرش» .

فأراد المؤلف ـ ان يبين أن النصوص تثبت فساد هذا القول، وان الله تعالى فوق كل شيء، كما نص على ذلك بقوله عن نفسه في وصف الملائكة ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾ . وهذا رد على الحلولية، وعلى النصارى القائلين بالأقانيم الثلاثة واتحاد اللاهوت بالناسوت ـ وعلى من يقول ان الله في كل مكان، وينفى عنه العلو والفوقية .

والمؤلف ومن سبقه من علماء الإسلام كابن المبارك وغيره، لا يقصدون من كلمة «الحد» التكييف لصفات الله تعالى، لانه لم يخطر ببالهم ما فهمه المعطلة، فكيفية صفات الله تعالى أمر لا يعلمه إلا هو، فالله يقول : ﴿**ولا يحيطون به علما**﴾ . وإنما يقصدون أن الله جل وعلا مباين لخلقه وانه عال عليهم مستو على عرشه فوق سماواته، وان العالم

منفصـل عنـه، لا يحل في شيء من خلقـه . وهـذه حقيقـة يثبتهـا كل من يؤمن بالله ويقدره حق قدره .

ولهذا قال الذهبي في آخر العلو : ان المعروف في عهد التابعين ومن تبعهم ان الخلاف في مسألة العلو على قولين ـ قول السلف المثبتة ، وقول الجهميـة النـافيـة ـ امـا القول الثالث المتولد أخيرا وهو قولهم : ان الله لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا متصل، ولا منفصل، ولا فوق ولا تحت ولا ولا . . . الخ . فقول : لا يفهمه أحد . وان من أراد ان يصف المعدوم لا يستطيع ان يزيد على هذا .

وقول الناقد : ان لفظ «الحد» لم يرد في الكتاب ولا في السنة ـ وانه نبه على ان الله لا يجوز وصفه إلا بصفة صريحة في القرآن والسنة .

وأقول : ان الناقد يستحق الشكر على هذا لو أنه عمل بما يقول . فقـد مر بك عشـرات الآيـات القـرآنيـة والأحـاديث المتفق عليها وسيأتي الكثـير منهـا ـ ولم يقبـل ان يثبت بها صفـة لله تعـالى على أساس قوله : **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** فهذه دعوى منقوضة بفعله .

وأقول : نعم . إنه لم يرد هذا النص . كما أقول إن المؤلف وغيره لم يقصـدوا ما فهمـه النـاقـد ، لأنـه قد قرر ان علو الله عنـد جماعة معنوى ـ والمعنوى ـ لا يوجد إلا في الذهن وليست له حقيقة في الخارج . لكن أهل السنة يقولون أن الله موجود لاشك في ذلك ، وإنه غير المخلوقات **وإليك نص كلامهم** : **يقول عبد الله بن المبارك** : نعرف ربنا عز وجل فوق سبع سماوات على العرش بائن من خلقه ، بحد ، ولا نقول كما قالت الجهمية هاهنا وأشار بيده إلى الأرض .

فهـذا كلام ابن المبـارك واضح وصريح في ان الله فوق سماواته بائن من خلقـه مستـو على عرشـه ـ فهـذا تفسـيره هو بنفسـه لقـولـه : نعرف ربنا . . . الخ . لأنه يرد على الجهمي الذي يقول ان الله في الأرض .

فهل الناقد يقول ان الله في كل مكان حتى في الأرض، حتى ينقد ابن المبارك ويقول كما في ص (٢١) - إن ابن المبارك اخطأ في قوله هذا .

وقال الإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني رحمه الله : تكلم أهل الحقائق في تفسير «الحد» بعبارات مختلفة، محصول تلك العبارات : ان حد كل شيء موضع بينونته من غيره، فإن كان غرض القائل بقوله «ليس لله حد» لا يحيط علم الخلق به فهو مصيب، وإن كان غرضه بذلك لا يحيط علم الله بنفسه فهو ضال (كتاب الحد/ للدشتي ورقة ١٢١).

قلت : وهذا معنى قول السلف في جميع كيفيات الصفات انه لا يعلمها إلا هو وعلى المسلم إثباتها كما جاءت في الكتاب والسنة والإيمان بها .

وقد أورد الدشتى أيضا في كتابه (إثبات الحد لله) نقولا عن السلف تبين مرادهم من هذه العبارة فقال : ومذهب علماء السلف ان الله هو الأول القديم وله حد لا يعلمه غيره، ولكن ليس لأحد أن يتوهم لحدّه غاية في نفسه ولكن عليهم أن يؤمنوا بذلك ويكلوا علم ذلك إلى الله تعالى .

قال **أهل السنة** : ان الله بكماله فوق عرشه يعلم ويسمع من فوق العرش لا يخفى عليه من خلقه خافية، ولا يحجبهم عنه شيء علمه بهم فوق العرش محيط وبصره فيهم نافذ. قال الله تعالى : ﴿**وسع ربى كل شيء علما**﴾ ولم يقل ذاتا .

وقال : ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ .

وقال : ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب**﴾ .

وقال : ﴿**انى متوفيك ورافعك إلى**﴾ .

وقال : ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه**﴾ .

وقال : ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ اهـ. كلامه .

ومن أراد الاستزادة فليراجع العلو للذهبي ، واجتماع الجيوش الإسلامية على المعطلة والجهمية لابن القيم . وقد سبق نقل نصوص كثيرة منهما في الباب السادس ، وفي حديث الجارية الذي رواه مسلم : أين الله ؟ قالت : في السماء . قال اعتقها فإنها مؤمنة . وقال الناقد : هذا الحديث شاذ ومردود وبهذا يظهر ما قصده المؤلف .

وأن الناقد - يدافع عن رأي الجهمية النافين للفوقية القائلين ان الله العلى الأعلى ، في كل مكان تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

اما ما نقله عن السبكى في ترجمة ابن حبان - وقضية انكاره الحد ، واخراجه من سجستان لإنكاره الحد . . . الخ . فمثل هذا يحدث بين العلماء وهم بشر غير معصومين ، وقد رأيت أن من أنكر الحد - فكلامه يخرّج على أنه لم يرد نص بذلك . ومن تكلم به : أراد الرد على القائلين بأن الله في كل مكان .

الباب التاسع في الرد ص (٢١) وهو في الأربعين السادس عشر ص (٦٠) وعنوانه : **(باب في إثبات الجهات لله عز وجل)** :

قال الناقد : وروى فيه - أي الهروي - حديث عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «ان المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين»[1] .

قال الناقد : والحديث في صحيح مسلم ، وفيه ما يدل على نفي الجهة عن الله تعالى ، فقوله : «وكلتا يديه» قال القاضي عياض : هو

(١) تخريج الحديث : مسلم ، الامارة باب فضيلة الامام العادل . . . الخ ٣/١٤٥٨ ح ١٨ وفيه : الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا .
حم/ ٢/ ١٦٠ ، مثل رواية مسلم .
النسائى/ آداب القضاة فضل الحاكم العادل ٨/١٩٥ .

تنبيـه على إنـه لم يرد باليمـين ولا باليد : الجارحة، لأنه لو اريد به ذلك، لكـان المقـابـل لليمـين الشمال،وتستحيل نسبة الجارحة إلى الله سبحانه وتعـالى، لأن ذلـك إنـما يكون في الأجسام المتحيزة المقدرة ذوات الجهة، وكل ذلك على الله سبحانه محال. [1]اهـ.

قال : فظهـر ان الحـديث ينفي الجهة. وان فهم المؤلف خطأ، ثم ما غرضه بإثبات الجهة لله، مع انها من خواص الأجسام المتحيزة ؟

١٦- بيان أن مشكلة المؤولة لصفات الله تعالى، هو قياسهم الفاسد لصفات الله الباقي على صفات المخلوق الفاني. ولذلك رد الناقد صفات العينين والسمع والبصر والقدم وغيرها كصفات الفعل الاختيارية.

قلت : ان كل ما وجهه من نقد، هو لنفي جهة العلو، لأن الجهة، لا تكون إلا للجسم المتحيز المقدر كما يقول. وقد سبق في حديث الجارية الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة في إثبات صفة العلو لله واستوائه على عرشه ما يغنى عن اعادته هنا.

ومشكلة المؤولـة لنصـوص الكتـاب والسنة في باب الصفات هو ما توهموه من ان إثبـات هذه الصفـات يقتضى المشـابهـة بنـاء على قياسهم الفاسد وهو مشابهة الشاهد للغائب. والله جلت قدرته لا يشبهه شيء لا في ذاتـه ولا في صفـاتـه ﴿قـل هو الله أحـد﴾، ﴿ليس كمثله شيء وهـو السميع البصير﴾ نفي للمثلية وإثبات للصفات على ذلك الأساس.

وكما ترى التنبيه في الحاشية : من ان الناقد نسب للقاضي عياض شيئـا لم أجـده في شرح مسلم، وربـما ذكـره في غيره. ومن ذلك قوله عن القاضي عياض انه قال على قوله : «وكلتا يديه يمين» فنبه على انه لم يرد باليمين ولا **اليد** الجارحة ـ فكلمة **اليد** لم ترد في قول القاضي.

وكـذلـك تعليله بقـولـه : <u>لأنه لو أريد به ذلك لكان المقابل لليمين</u>

[1] تنبيـه : نسب الناقد هذا الكلام كله للقاضى عياض : وقد راجعت شرح النووى على مسلم هذا الحديث فوجدت العبارة التالية فقط : «وأما قوله ﷺ «وكلتا يديه يمين فتنبيه على أنه ليس المراد باليمين جارحة تعالى الله عن ذلك فإنها مستحيلة فى حقه تعالى. أهـ فلم يرد فى قول القاضى عياض ــ لا اليد، ولا المقابل لليمين بالشمال ولا الأجسام المتحيزة المقدرة ذوات الجهة.

الشمال . . . الخ . هذا لم يرد أيضا في كلام القاضي في شرح النووي .

وأقول : ان السلف لم ينقدح في اذهانهم مسألة الجارحة مطلقا ، وإنما يثبتون لله ما أثبته لنفسه وإنما هذا من قول المعطلة ـ لأنهم مشبهة أولاً ، وبعد التشبيه القائم بأذهانهم ينتقلون للتعطيل ـ ولا يستطيع الناقد أن يثبت عن أحد من السلف انه نطق بكلمة **الجارحة** ـ وإنما هذا تنفير للشباب من أن يقرءوا كتب السلف التي تنير لهم الطريق فيرجعوا لتعظيم ربهم ويؤمنوا بما ورد في كتابه وسنة رسوله ﷺ كما آمن الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان .

ثم ماذا يقول الناقد لو قلنا له ارجع لصحيح مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (صفة القيامة والجنة والنارج ٤ /٢١٤٨ ح ٢٤) : عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة . ثم يأخذهن بيده اليمنى . ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ، أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين **بشماله** . ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون . أين المتكبرون .

هذه رواية مسلم ، فهل يجوز لمسلم ان ينسب لله الجارحة ، لورود الحديث ، لأنه بمقتضى كلام الناقد الذي نسبه للقاضى عياض ـ انه إذا وجدت لفظة «الشمال» المقابلة لليمين جاز ذلك . وهذا من شؤم التأويل والتجرؤ على نصوص الكتاب والسنة والقول على الله بلا علم . وكأن المؤولة لصفات الله كما قال «أبو الفيض» أخو الناقد . لمن أول صفة اليد والعين والقدم ، فكانوا : أعلم من الله الذي أثبت ذلك لنفسه على المعنى الذي أراده لا على معنى الجارحة الذي فهمه الأشعرية وغيرهم من المؤولة ، وضل من قال : قدرته مبسوطتان»[1] . وصدق أبو الفيض في هذا ، فهل لأخيه أبي الفضل ان يرجع ويقول بقول أخيه ، أو يحكم عليه

(١) تقدم . . . وهو كتاب الإقليد له . . . الخ .

بالتشبيه والتجسيم كما حكم على الهروي . إننا في انتظار ان نقرأ ما يقوله عنه .

الباب العاشر في الرد ص (٢٢) وهو في الأربعين الثامن عشر ص (٦٣) وعنوانه : **(باب إثبات الصورة له عز وجل)** :

قال الناقد : وروى فيه ـ أي الهروي ـ حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «خلق الله آدم عليه السلام على صورته طوله ستون ذراعا»(١) .

قال : وهذا حديث مختصر من حديث في الصحيحين ، والاستدلال به لإثبات الصورة لله عز وجل غلو في الإثبات مذموم فإن الضمير في صورته يعود على آدم لأنه أقرب مذكور. . . الخ . هذا ما أورده ، وهو انتقاده للهروي إثبات صفة الصورة لله عز وجل .

وقد أشرت في التعليق على هذا الباب فى كتاب الأربعين إلى شرح ابن خزيمة لهذا الحديث وبينت رأيه في مرجع الضمير في قوله : «خلق الله آدم على صورته»(٢) وانه يرى ان الضمير عائد إلى آدم عليه السلام . لأنه يرى ان رواية «على صورة الرحمن» لا تصح . ولم يرض الناقد بذلك ، لأنه لم يشر إلى هذا التعليق اطلاقا . كما أنني قد أوردت أقوال العلماء في هذا الحديث في تعليقي على كتاب الصفات للدارقطنى ح رقم (٤٦) ونقلت كلام ابن خزيمة المشار إليه من كتابه التوحيد ص (٣٧) . وأشرت إليه في التعليق على هذا الباب كما أنني اتبعته بمقال

---

(١) تخريج الحديث : مسلم/ الجنة ، باب يدخل الجنة قوم أفئدتهم مثل أفئدة الطير ، ٤/٢١٨٣ ح ٢٨ .

البخارى/ الأنبياء/ باب خلق آدم وذريته ، فتح البارى ٦/٣٦٢ ح ٣٣٢٦ .

البخارى/ الاستئذان/ باب بدء السلام ، فتح البارى ١١/١ ح ٦٢٢٧ .

المسند ٢/٣١٥ ، ٣٢٣ .

(٢) وهو رأي الحافظ وابن مندة فى كتاب التوحيد ١/٢٢٢ .

نشر في مجلة الجامعة السلفية في بنارس في ذي القعدة سنة ١٣٩٦هـ المجلد الثامن من العدد الرابع بعنوان : «تعريف أهل الإيمان بصحة حديث صورة الرحمن» للشيخ حماد الأنصارى وقد ورد في هذا المقال ان هذه الزيادة «على صورة الرحمن» صحيحة صححها الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، والحافظان الذهبي وابن حجر العسقلاني. وذلك لم يرق للناقد فأغفله، وقد ورد في هذا المقال قول ابن قتيبة الذي خطأه الناقد أيضا في رده هذا ص (٣٤). وهذا نص كلام ابن قتيبة في مختلف الحديث ص (١١٨) بعد كلام ذكر فيه جميع التأويلات التي قيلت في هذا الحديث قال : والذي عندي والله تعالى أعلم : أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والعينين، فإنما وقع الألف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد، وقد قال قبل هذا الكلام بصفحة فإن صحت رواية ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ بذلك فهو كما قال رسول الله ﷺ فلا تأويل ولا تنازع فيه. انتهى.

وقد أكد مقال الشيخ حماد الأنصارى. تقى الدين الهلالي بتعقيبه عليه ثم قال : وقد ظهر لي ان أضيف إلى كلامه حديثا آخر في هذا المعنى رواه البخاري في كتاب التوحيد فتح الباري (١٣/ ٤١٩ ح ٧٤٣٧). ونصه بعد السند عن أبي هريرة ان الناس قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يارسول الله، قال : فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله، قال : فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها، أومنافقوها شك إبراهيم، فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم، فيقولون : هذا مكاننا

حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه. . .» الحديث

قال تقي الدين الهلالي عفا الله عنه : تضمن هذا الحديث الشريف ثلاث صفات لله عز وجل :

أولها : اتيان الله تعالى. **وثانيها** : الصورة. **وثالثها** : رؤيتهم له بأبصارهم. وقد غص بذلك نفاة الصفات المعطلة الجهمية وتخطفتهم شياطينهم فأخذوا يهرفون ويهذرون بأنواع من التأويلات الباطلة. . .. إلى أن قال : والحق الذي عليه أهل السنة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ومن تبعهم بإحسان الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، ثم ذكر أمثلة للصفات التي يثبتونها كصفة الوجه واليدين والعينين. . . الخ.

قال : ومن أراد أن يقف على تخبط المبتدعين وهذيانهم[1] فلينظر شرح هذا الحديث في فتح الباري (١٣) ص (٤٢٧) وما بعدها انتهى.

قلت : فقد راجعته فوجدته كما قال.

الباب الحادى عشر في الرد ص (٢٤) وهو في الأربعين التاسع عشر ص (٦٤) وعنوانه : (**باب إثبات العينين له تعالى وتقدس**) :

قال الناقد : وقد روى ـ أي الهروي ـ حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من نبي إلا وقد انذر الأعور الكذاب ألا

(١) الصفات للدارقطني ص ٥٧ ـ ٦٣.

إنه أعور، وإن ربكم عز وجل ليس بأعور، مكتوب بين عينيه ك ف ر »[1].

الناقد لم يشر إلى من روى الحديث مع انه مخرج أمامه في الحاشية ويظهر أنه خشي من عنوان البخاري الذي ذكره وأورد هذا الحديث تحته كما سيأتي بيانه.

ثم قال الناقد : والحديث ليس فيه إثبات العينين لله، فمن أين أتى بها الهروي ؟ وقال : إن كان فهم من قوله : إن ربكم ليس بأعور، انه يستلزم أن يكون له عينان، فهذا غلط واضح، فإن الصفات لله تعالى لا تثبت إلا بلفظ صريح في حديث صحيح .

ثم قال : وقد جاء في القرآن إثبات العين لله مفردة كقوله : ﴿ولتصنع على عيني﴾ ومجموعة كقوله سبحانه : ﴿فإنك بأعيننا. . .﴾، ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ ﴿تجري بأعيننا﴾ وهذا يدل على أن نسبة العين إلى الله معناه صفة البصر أو الحفظ والكلاءة. ونقل عن ابن حزم قوله : لا يجوز لأحد أن يصف الله بأن له عينين لأن النص لم يأت بذلك. اهـ .

قال : وهكذا شأن الهروي في كتاب الأربعين يثبت صفات لله لم يقم عليها دليل. اهـ.

هذا ما أورده الناقد لهذا الباب وحيث ان الإمام البخاري قد طرق هذا العنوان. واستدل بنفس الحديث الذي استدل به الهروي، كما أن البخاري أورد الآيات التي استدل بها الناقد لرأيه والبخاري أوردها

(١) تخريج الحديث: البخارى/ الفتن/ باب ذكر الدجال، فتح البارى ١٣/ ٩١ ح ٧١٣١.
البخارى والتوحيد/ باب قوله تعالى «ولتصنع على عيني» ١٣/ ٣٨٩ ح ٧٤٠٨.
مسلم/ الفتن/ باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ٤/ ٢٢٤٨ ح ١٠١، ١٠٢.
أبو داود/ الملاحم/ باب خروج الدجال، ٤/ ٤٩٤ - ٤٩٥ ح ٤٣١٦.
الترمذي/ الفتن، ٦/ ٥١٤ ح ٢٣٤٦.
ابن مندة/ الايمان/ ذكر صفة الدجال ونعته ٣٠٠/ ٩٢٨ ح ١٠٤٩.

للاستدلال بها فإنني سأورد ما ذكره البخاري وللقارىء الكريم أن يسأل الناقد «أبا الفضل عبد الله الصديق، لماذا لم يوجه هذا النقد للإمام البخاري ولماذا لم يجرؤ ان يقول عنه انه مشبه ومجسم، كما قال هذا ـ عن الهروي، والهروي شيخ الإسلام الحافظ المشهود له بالذب عن السنة، كما في ترجمته في تذكرة الحفاظ وغيرها .

وإليك قول البخاري في صحيحه فتح الباري (١٣ / ٣٨٩) قال : باب قول الله تعالى : ﴿ولتصنع على عيني﴾ تغذى، وقوله جل ذكره : ﴿تجري بأعيننا﴾ .

ثم قال حدثنا موسى بن اسماعيل . . . عن عبد الله قال : ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال : ان الله لا يخفى عليكم، ان الله ليس بأعور ـ وأشار بيده إلى عينه ـ وان المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية .

ـــ حدثنا حفص بن عمر ثنا شعبة أخبرنا قتادة قال : سمعت أنسا رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب انه أعور، وان ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر» هذا هو الحديث الذي استدل به المؤلف، قد استدل به البخاري قبله : على إثبات صفة العينين التي ينكرها الناقد على الهروي، ولم ينكر ذلك على البخاري .

ثم ان الآيات التي يلبس بتحريفها عن دلالتها هي نفسها التي يستدل بها البخاري لإثبات تلك الصفة .

وقد أورد ابن حجر في شرح هذا الحديث أقوال أصحاب التأويل المختلفة إلى ان قال : وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب العقيدة له، أخبر الله في كتابه وثبت عن رسوله الاستواء والنزول والنفس واليد والعين، فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل، إذ لولا اخبار الله

ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى ، قال الطيبي : هذا هو المذهب المعتمد وبه يقول السلف الصالح ، وقال غيره : لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك ولا المنع من ذكره، ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه مما لا يجوز، مع حضه على التبليغ عنه بقوله ، «ليبلغ الشاهد الغائب» حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته وما فعل بحضرته ، فدل على إنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراده الله منها ، ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء﴾ فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم وبالله التوفيق[1] . اهـ .

اما قول الناقد : وقد جاء في القرآن إثبات العين لله مفردة ، كقوله تعالى : ﴿ولتصنع على عيني﴾ ومجموعة كقوله : ﴿فإنك بأعيننا﴾ . ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ . ﴿تجري بأعيننا﴾ قال وهذا يدل على ان نسبة العين إلى الله معناه البصر، أو الحفظ أو الكلاءة .

فالجواب : ان هذا التأويل لم يقل به إلا الجهمية . وقد بين ذلك ابن القيم فقال : ذكر العين مفردة لا يدل على انها عين واحدة ليس ، إلا كقولك : افعل هذا على عيني ، واحبك على عيني ، لا يريدان له عينا واحدة . وإنها إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهرا ومضمرا فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ ، كقوله : ﴿تجري بأعيننا﴾[2]وقوله : ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾[3] وهذا نظير المشاكلة في لفظ اليد المضافة إلى المفرد

(١) فتح الباري ١٣ / ٣٩٠ وابن حجر ينقل هذا مقرا له . أما الناقد فقد اطلع عليه ولكنه لم يصلح له لأنه لم يوافق هواه فلم يذكره .

(٢) جزء من الآية ١٤ من سورة اقتربت الساعة .

(٣) جزء من الآية ٣٧ من سورة هود .

كقـوله : ﴿بيده الملك﴾، ﴿وبيده الخير﴾. وان أضيفت إلى ضمير جمع جمعت كقـولـه تعـالى : ﴿ألم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما﴾ وكـذلـك إضافة اليد والعين إلى اسم الجمع الظاهر كقوله : ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ وقوله : ﴿فاتوا به على أعين الناس﴾. وقد نطق الكتاب والسنـة بذكـر اليـد مضافة إليه بلفظ مفردة ومجموعة ومثناة، وبلفظ العين مضـافـة إليـه مفـردة ومجمـوعة. ونطقت السنة بإضافتها إليه مثناة كما قال عطاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : «ان العبد إذا قام في الصلاة قام بين عيني الرحمن، فإذا التفت قال له ربه : إلى من تلفت إلى خير لك مني». وقـول النبي ﷺ : «ان ربكم ليس بأعـور» صريـح بأنه ليس المراد إثبات عين واحـدة، فإن ذلـك عور ظاهـر تعـالى الله عنـه، وهل يفهم من قول الداعي «اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام» انها عين واحدة ليس إلاّ. إلا ذهن اقلف وقلب اغلف.

وقـد استدل السلف على إثبات العينين له تعالى بقوله : ﴿تجرى بأعيننـا﴾ وممن صرح بذلـك إثباتا واستدلالاً أبو الحسن الأشعري في كتبه كلهـا، فقـال في كتاب المقالات، والإبانة والموجز، وهذه لفظه فيها : وان له عينـين بلا كيف، كما قال ﴿تجـرى بأعيننـا﴾ فهـذا الأشعـري وغيره لم يفهمـوا من الأعـين أعينـا كثيرة، ولا من الأيدى أيديا كثيرة، ولما رد أهل السنة تأويل الجاهلين لم يقدر الجهمية على أخذ الثأر منهم الا بأن سموهم مشبهـة، ممثلة، مجسمـة، حشـويـة، ولـو كان لهؤلاء عقـول لعلمـوا أن التلقيب بهذه الألقـاب ليس لهم، وإنـما هو لمن جاء بهذه النصوص وتكلم بها ودعا الأمة إلى الإيمان بها ونهاهم عن تحريفها وتبديلها.[1] اهـ.

(١) مختصر الصواعق ١/ ٣٤ ـ ٣٦.

الباب الثاني عشر في الرد ص (٢٥) وفي الأربعين الباب العشرين ص (٦٦) وعنوانه : (إثبات السمع والبصر لله عز وجل) :

قال الناقد : وروى - أي الهروي - حديث أبي هريرة انه قرأ هذه الآية : «ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها» إلى قوله : «ان الله كان سميعا بصيرا» ووضع إبهامه على اذنه، والتي تليها على عينيه، ثم قال : هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرأها، ويضع أصبعيه عليهما»(١).

قال الناقد : والحديث رواه أبو داود في سننه وقال عقبه : قال ابن يونس قال المقري : يعنى ان الله سميع بصير، يعنى ان لله سمعا وبصرا .

وقال : الإمام الخطابي : وضعه أصبعيه على اذنه وعينه عند قراءته سميعا بصيرا، معناه : إثبات صفة السمع والبصر لله سبحانه، لا إثبات العين، والأذن لأنهما جارحتان والله سبحانه موصوف بصفاته، منفيا عنه مالا يليق به من صفات الآدميين ونعوتهم ليس بذى جوارح، ولا بذى أجزاء، وابعاض **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**، ثم استمر في ذكر مثل هذا الكلام الذي سلكه المتكلمون في تنزيه الله حسب زعمهم. فيأتون بالنفي المفصل، ويستدلون عليه بآية ذكرها الله في نفى المشابهة والمماثلة بالنفى المجمل، ثم في خاتمتها ذكر الإثبات المفصل. فنص الآية : **﴿ليس كمثله شيء﴾** أي لا في أسمائه ولا في صفاته يشمل نفي كل مالا يليق بجلاله وكماله .

ثم قال : **﴿وهو السميع البصير﴾** إثبات مفصل فذكر صفة

---

(١) تخريج الحديث : أبو داود فى كتاب السنة/ باب فى الجهمية ٥/٩٦ ح ٤٧٢٨ وقال ابن حجر فى الفتح ١٣/٣٧٣ : أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم.
.... ابن خزيمة فى التوحيد ص ٤٣ .

السمع والبصر، والمخلوق يسمع ويبصر، ولكن الله ليس كمثله شيء، وهذا أسلوب القرآن فلم يرد في كتاب الله ولا سنة رسوله هذا النفي القبيح بأن الله جل وعلا يقال في نفي النقائص عنه : ليس بذى جوارح، ولا بذى أجزاء، ولا ابعاض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

وأنت لو أردت ان تمدح أميرا ولله المثل الأعلى ، فلو قلت له بنفي النقائص عنه : أنت لست بكناس ، ولا خباز، ولا خياط ، ولا فوال ، ولا خراز. . . الخ. فما هي الجائزة التي سيعطيها لك أقل شيء الطرد عن بابه. لكن لو قلت بالنفي المجمل : أنت لست كأحد من أهل بلدك بل تفوقهم كلهم في كل وصف كريم يتصفون به، وفصلت في المدح فقلت له : أنت الكريم واندى العالمين بطون راح، كريم السجايا كثير العطايا، الشجاع المقدام. . . الخ. لقدم لك الجوائز الثمينة .

إن أسلوب القرآن وهو كلام أحكم الحاكمين لا عبارة ولا حكاية، بل كلامه حقيقة، ورد بالإثبات المفصل والنفي المجمل، وهو أبلغ الكلام وأحسنه في الثناء. ونفي النقائص عن الباري سبحانه .

ولما كان هذا هو كل الذي أورده الناقد فإني سأقتصر في الرد عليه بما أورده البخاري في كتاب التوحيد، فتح الباري (١٣/ ٣٧٢) لأن المؤلف الهروي أخذ نفس الباب الذي عقده البخاري وهو : باب ﴿**وكان الله سميعا بصيرا**﴾ .

ثم قال ـ أي البخاري ـ : قال الأعمش عن تميم عن عروة «عن عائشة قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، فأنزل الله تعالى على النبي ﷺ ﴿**قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها**﴾[1]. ثم اتبعه بحديث أبي موسى قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا،

(١) المجادلة / ٢.

فقال : «اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا تدعون سميعا بصيرا قريبا . . . الحديث.

وحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : علمني دعاء ادعو به في صلاتي، قال : «قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة انك أنت الغفور الرحيم»[1].

وحديث عروة أن عائشة رضي الله عنها حدثته قال النبي ﷺ : «ان جبريل عليه السلام ناداني قال : ان الله سمع قول قومك وما ردوا عليك» .

اعتقد أن فقه الإمام البخاري الذي جاء في أبواب كتابه وعنوانه لقوله : ﴿**وكان الله سميعا بصيرا**﴾ أولى بالقبول من قول الناقد وقد أيد ذلك بإيراده لقول عائشة وهو مروي في المسند وغيره، في تفسير أول سورة المجادلة، وقصة خولة وهي المجادلة، وقول عائشة ـ كان يخفى على بعض كلامها ـ وسمعها الله من فوق سبع سموات، ولاشك ان الناقد لا يعترض بأن عائشة أفقه ممن نقل عنهم نفي هذه الصفة التي هي من الصفات التي تجعل سلوك المسلم يشعر بمراقبة الله سبحانه وانه يسمع كلامه، فلا يلفظ إلا بخير .

وقد جرد المتكلمون أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من هذه المعانى التي بتدبرها والإيمان بها تستقيم حياة المؤمن ويصح سلوكه ويحسن عمله. لأنهم جعلوها رسوماً لا تدل على معاني، فأصبحت القضية بين فريقين ـ المثبت والنافي، فأقاموا حرباً على نصوص الكتاب والسنة لابعادها عما دلت عليه. بحيث أصبحت لا سلطان لها على النفوس

(١) الشاهد فيه : أن الله يسمع دعاءه.

لإصلاحها، وتهذيبها عن طريق المراقبة بحيث يشعر المسلم بأن الله يسمعه ويراه. وحديث أبي موسى . . . «تدعون سميعا بصيرا»، وحديث أبي بكر. وقد بين ابن حجر وجه الشاهد فيه وهو ان الله يسمع دعاءه، وحديث عائشة - ان جبريل عليه السلام نادى رسول الله ﷺ وقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا به عليك. ان هذه الأدلة الصحيحة الصريحة تثبت لله سبحانه صفة السمع والبصر على اساس قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ .

ولكن المشكلة التي واجهت الجهمية والمعتزلة والأشعرية وكل المؤولة - انهم لم يفهموا من دلالة هذه النصوص إلا ما يتصورونه في المخلوق المشاهد، فقاسوا الخالق على المخلوق - فشبهوا. ثم أرادوا التنزيه - فنفوا تلك الصفات. ولهذا تجدهم يقولون - كما قال الناقد : وهذه جوارح والله منزه عن الجوارح .

ونقول لهم : ومن مِنْ أهل السنة والجماعة تلفظ بكلمة الجوارح، فالله منزه عن ذلك. **ولهذا** قال الإمام أحمد «التشبيه أن نقول يد كيد ووجه كوجه. فأما إثبات يد ليست كالأيدي ووجه ليس كالوجوه فهو إثبات ذات ليست كالذوات وحياة ليست كغيرها من الحياة وسمع وبصر ليس كالأسماع والأبصار، وليس إلا هذا المسلك ومسلك التعطيل المحض، والتناقض الذي لا يثبت لصاحبه قدم في النفي ولا في الإثبات وبالله التوفيق»[1]. اهـ.

وقال نعيم بن حماد الخزاعي : من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيها[2].

---

(١) مختصر الصواعق ١/ ٢٧.

(٢) الفتاوى ٥/ ١٩٦.

وقال : شيخ الإسلام ابن تيمية : ومذهب السلف بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين : إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات، فقوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء﴾ رد على أهل التشبيه والتمثيل .

وقوله : ﴿وهو السميع البصير﴾ رد على أهل النفي والتعطيل، فالممثل أعشى، والمعطل أعمى، الممثل يعبد صنما، والمعطل يعبد عدما»[1] . اهـ .

الباب الثالث عشر فى الرد ص (٢٦) وهو الباب الحادى والعشرون في الأربعين ص (٦٧) وعنوانه : (باب إثبات اليدين لله عز وجل) .

والباب الرابع عشر في الرد ص (٢٦)، وهو في الأربعين الثالث والعشرون ص (٧١) وعنوانه : (باب خلق الله الفردوس بيده) .

والباب الخامس عشر في الرد ص (٢٨) وهو في الأربعين الرابع والعشرون ص (٧٣) وعنوانه : (باب إثبات الخط لله عز وجل) .

وورد تحته حديث أبي هريرة المتفق عليه في محاجة آدم وموسى عليهما السلام .

والباب السادس عشر في الرد ص (٢٩) وهو في الأربعين الخامس والعشرون ص (٧٤) وعنوانه : (باب أخذ الله صدقة المؤمن بيده) .

والباب السابع عشر في الرد ص (٣٠) وهو في الأربعين السادس والعشرون ص (٧٥) وعنوانه : (باب إثبات الأصابع لله عز وجل) . وقد ورد فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت : دعوة كان رسول الله يكثر ان يدعو بها : «يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» قالت عائشة : يارسول الله دعوة أراك تكثر ان تدعو بها ؟ قال : «ما من آدمي إلا وقلبه

---

(١) الفتاوى ٥/١٩٦ .

بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل، فإذا شاء ان يقيمه أقامه، وإذا شاء ان يزيغه ازاغه» .

هذه الأبواب التى ورد ذكرها فى ص (١٢٩) قد ضمت إلى الباب الأول فى ص (٣٢) الوارد فى الرد ص (٦) من الرد وهو في الأربعين الباب الرابع ص (٤٥)، وعنوانه : (باب إيجاب قبول صفات الله تعالى من كافة الخلق» وقد أورد المؤلف فيه حديث عبد الله بن مسعود الذي أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (باب قول الله تعالى : ﴿لما خلقت بيدي﴾ .) وأورد فيه حديث عبد الله بن مسعود قال : جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال : يامحمد ان الله يضع السموات على أصبع . . . الحديث. فالاتحاد موضوعها وهو إثبات صفة اليد لله تعالى وإنكار الناقد لها فقد جمعتها في أول الكتاب وبينت وجهة دلالتها على إثبات صفة اليد لله عز وجل كما في قوله تعالى لإبليس ﴿ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي﴾ وهي الآية التي بوب بها البخاري، وقوله تعالى : ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ ردا على اليهود الذين وصفوا يد الله بالغلول لعنهم الله، وقوله في الحديث تشريفا لآدم الذي ورد في محاجة آدم وموسى وقال : وخلقك بيده، وقول آدم لموسى : (. . . وخط لك التوراة بيده) وغير ذلك من النصوص، وأقوال السلف التي تبين ضلال الجهمية والمعتزلة ومن سلك مسلكهم من المؤولة[1]. ولا حاجة لاعادته مرة أخرى.

الباب الثامن عشر في الرد ص (٣٢) وهو في الأربعين الباب السابع والعشرون ص (٧٦) وعنوانه : (**باب إثبات الضحك لله عز وجل**) :

قال الناقد : وروى - أي الهروي - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «ضحك الله من رجلين قتل أحدهما صاحبه ثم دخلا الجنة»

(١) تقدم هذا البحث مستوفا فى ص ٣٢ فراجعه إن شئت.

والحديث في الصحيحين. . . ثم قال : ورواه النسائي بلفظ «ان الله يعجب من رجلين» فالحديث مروى بالمعنى. ثم اردف ذلك بما نقله عن الخطابي في تأويل هذا النص، بتأويلات لا يقول بها أحد من سلف هذه الأمة في صفات الله تعالى منها أن يكون معنى قوله : يضحك الله، أي يجزل العطاء، وقد يكون معنى ذلك ان يعجب ملائكته ويضحكهم من صنيعهما.

وقد نقل ذلك كله عن فتح الباري (٦/ ٤٠)، كما نقل قول ابن الجوزي وهو كذلك في فتح الباري نفس الصفحة.

قال : وقال ابن الجوزي : أكثر السلف يمتنعون من تأويل مثل هذا ويمرونه كما جاء.

قلت : وما نقله الناقد عن ابن الجوزي هو الحق وهو مذهب السلف جميعا، وذلك الامرار لنصوص الصفات هو على أساس قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه في اجابته لمن سأله عن كيفية الاستواء فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة. وهكذا أثبت السلف الصفات كلها ما ورد في الكتاب العزيز، وما صح من سنة رسول الله ﷺ، مثل هذا الحديث المروي في الصحيحين وغيرهما كما رأيت في تخريجه. يثبتونها على أساس قوله تعالى : ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾.

اما قول الناقد : ان رواية النسائي بلفظ «ان الله يعجب من رجلين» فالرواية بالمعنى. فنقول له : إذا صححت رواية النسائي، فهل تثبت لله هذه الصفة. وهي من صفات المخلوقين. ثم ما نقلته عن الخطابي - من تأويل الضحك بالرضاء فهل أنت تثبت لله صفة الرضاء، ان المؤولة يفرون من شيء فيقعون في نظيره. وسبب ذلك : ترك نصوص الكتاب والسنة، وقد أخبر المصطفى : ان المتمسك بهما لا يضل

أبـداً. ومن تركهـما بأي نوع من الـترك، ومنه صرف ألفاظها التي خاطب الله بها عباده بلغتهم التي يفهمون دلالة ألفاظها على معانيها التي وضعت لها، ومن حكمته سبحانه لإقامة الحجة على عباده ان ارسل إلى كل أمة رسولا بلسان قومه ليبين لهم ما نزل إليهم. فإذا صرفت تلك الألفاظ عن معـانيهـا من لغتهم فكيف تقـوم الحجـة عليهم. ثم إذا خوطبـوا بلغتهم وقصد منهم أن يفهموا خلاف ما دلت عليه ألفاظها. أليس هذا من باب التكليف بما لا يطـاق. ان القـول بهذا إبطـال لحجـج الله على عبـاده، وحججـه لا تبطـل أبـدا. فإذا قيـل - ان معنى قولـه ﷺ : **يضحـك الله** لرجلين قتـل أحـدهما الأخـر. . . الحديث. ان معناه : يجزل العطاء» أو يعجب ملائكته ويضحكهم. فهل هذا هو المعنى المفهوم للمخاطب بلغة العرب من : يضحك الله لرجلين. . . الخ.

البـاب التـاسـع عشـر في الـرد ص (٣٤) وهـو في الأربعين البـاب الثامن والعشرون وعنوانه : (باب إثبات القدم لله عز وجل) :

قال الناقد : وروى - أي الهروي - حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يدلى رب العالمين فيها قدمه، فتقول : قط قط»[1].

قال - أي النـاقـد - وقـال أيضا : (باب الدليل على ان القدم هي الـرجـل) قال النـاقـد : وروى - أي الهروي - الحديث المتقدم من طريق

(١) تخريج الحديث: البخارى التفسير/ باب «وتقول هل من مزيد» فتح البارى ٥٩٤/٨ ح ٤٨٤٨.
وفى الايمان والنذور/ باب الحلف بعزة الله. . . فتح البارى ٥٤٥/١١ ح ٦٦٦١.
مسلم/ فى الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢١٨٧/٤ ح ٢٧.
ت / التفسير / سورة ق / تحفة الأحوذى ١٥٨/٩ ح ٣٣٢٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وفيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.
ابن خزيمة فى التوحيد ص ٩٧.

أبي هريرة وقال فيه : «حتى يضع الله عز وجل رجله فيها فتقول : قط قط»[1].

قال الناقد : هذا من شذوذ هذا الرجل، يتمسك في إثبات صفاتٍ لله تعالى بخبر آحاد محتمل للتأويل. **ثم قال أي الناقد** : ونقول في الرد عليه :

أولا : هذا الحديث أتى بزيادة عما في القرآن، فإن الله تعالى قال : ﴿**يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد**﴾ وهذا الحديث وإن كان صحيحا، ليس في قوة القرآن، فلا يجوز أن يقطع بما فيه من الزيادة، وتجعل صفة لله تعالى .

ثانيا : ذكر ابن الجوزي أن الرواية التي جاءت بلفظ «الرجل» تحريف من بعض الرواة لظنه أن المراد بالقدم الجارحة فرواها بالمعنى فأخطأ . اهـ.

ثالثا : أن الحديث مؤول بوجوه كثيرة مبسوطة في فتح الباري وغيره .

رابعا : **قال أبو الوفاء بن عقيل** : تعالى الله عن انه لا يعمل أمره في النار، حتى يستعين عليها بشيء من ذاته أو صفاته، وهو القائل للنار : ﴿**كوني بردا وسلاما**﴾ ، فمن أمر نارا أججها غيره ان تنقلب عن طبعها وهو الإحراق فتنقلب، فكيف يحتاج في نار يؤججها هو إلى استعانة . اهـ.

ثم قال : الخلاصة : ان الحديث صحيح بأن النار تقول هل من مزيد ؟ حتى يضع الرب فيها قدمه، لكن لا يجوز ان نجزم بأن القدم

---

(١) تخريج الحديث: البخارى/ التفسير/ باب «وتقول هل من مزيد» فتح البارى ٨/ ٥٩٥ ح ٤٨٥٠ من طريق عبد الرزاق.
مسلم/ الجنة/ باب النار يدخلها الجبارون، ٤/ ٢١٨٦ ح ٣٦.
المسند ٢/ ٢١٤ من طريق عبد الرزاق.

صفة لله تعالى، لأنها محتملة للتأويل، ولا ينسب صفة لله الا ما كان مقطوعا به. فمن يثبت القدم لله، ثم يزعم تنزيه الله عن الجوارح متناقض، لأنه أثبت جارحة ثم نفاها.

قال: وذكر في ترجمة المؤلف - أي الهروي - أن مسعود بن سبكتكين، قدم هراة سنة ثلاثين وأربعمائة، فاستحضر شيخ الإسلام، وقال له: أتقول أن الله عز وجل يضع قدمه في النار؟ فقال: أطال الله بقاء السلطان المعظم، إن الله عز وجل لا يتضرر بالنار، والنار لا تضره، والرسول لا يكذب عليه، وعلماء هذه الأمة لا يتزيدون فيما يروون عنه ويسندون إليه، فاستحسن جوابه ورده مكرما. ثم رد على هذا ردا تهكميا وسماه حجة داحضة.

وحيث إن هذا هو ما ذكره ابن رجب في ترجمة المؤلف في طبقات الحنابلة وقد أورده مقراً له مستحسنا فهو القائل: فاستحسن جوابه ورده مكرما. فإنني سوف أورد القصة بكاملها آخر هذا البحث بعد إكمال الرد على الشبهة السابقة: وكذلك ما ذكره الذهبي في ترجمته عما عمله المؤولة معه عند الأمير الب ارسلان من افتراءات عليه وهو ما ذكره الناقد من أن الهروي مجسم ومشبه افتراء عليه. اما الاجابة على الشبهة التي أوردها فتتلخص فيما يأتي قوله:

أولاً: إن هذا الحديث أتى بزيادة عما في القرآن... الخ.

والجواب: ان الحديث أورده البخاري في صحيحه / كتاب التفسير / باب «وتقول هل من مزيد» فتح الباري (٨/ ٥٩٥ ح ٤٨٤٨) وأورد حديث أنس هذا مفسرا به هذه الآية، وعلماء السلف متفقون جميعا على أنه يفسر القرآن، بالقرآن، ثم يفسر بعد ذلك بالسنة والسنة وحي مبينة للقرآن كما قال تعالى: ﴿**ونزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ ولهذا أورد البخاري هذا الحديث في تفسير الآية، وكذلك صنع

ابن جرير في تفسير هذه الآية، وقد راجعت شرح ابن حجر لهذا الحديث في فتح الباري، وقد نقل أقوال العلماء ولم يشر إلى ما أثاره الناقد، من ان ما ورد في هذا الحديث زيادة على القرآن فيرد، وكيف يرد ما هو بيان للقرآن ؟ والله يقول عن نبيه : ﴿**وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى**﴾ أنرد الوحي بالهوى، معاذ الله .

وقوله ـ ثانيا : ذكر ابن الجوزي ـ ان الرواية التي جاءت بلفظ «الرجل» تحريف من بعض الرواة. . . الخ.

الجواب : ان الناقد نقل هذا النص من فتح الباري (٥٩٦/٨) وترك رد ابن حجر على ابن الجوزي في هذه الصفحة نفسها، ولذا فإنني اكتفى بنقل ما قاله ابن حجر ونصه كالتالي : «وزعم ابن الجوزي ان الرواية التي جاءت بلفظ «الرجل» تحريف من بعض الرواة لظنه ان المراد بالقدم الجارحة فرواها بالمعنى فأخطأ، ثم قال : أي ابن حجر ـ وبالغ ابن فورك فجزم بأن الرواية بلفظ «الرجل» غير ثابتة عند أهل النقل. اهـ.

قال ابن حجر : وهو مردود لثبوتها في الصحيحين.

فكان من واجب الناقد إن كان يريد الحق ويخاف الله ان ينقل كلام ابن حجر في الرد على ابن الجوزي. ثم يختار ما يريد. وهذا ما يقتضيه العدل والإنصاف وأمانة النقل. ومما يدل على اطلاعه على هذا في فتح الباري .

قوله ثالثا : إن الحديث مؤول بوجوه كثيرة مبسوطة في فتح الباري وغيره. فهذا دليل واضح على انه راجع فتح الباري فأخذ ما يوافق هواه .

وأقول : إليك هذه التأويلات من فتح الباري كما أشار الناقد لتعلم ان من ترك النصوص ومذهب السلف وفهمهم لهذه النصوص انه

لا يستقر له رأي لكثرة العقول والله يقول : ﴿. . . فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله. . . ﴾ اما الرد إلى العقول فالله يقول : ﴿. . . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا. . . ﴾ وإليك هذا الاختلاف كما قال الله : يقول ابن حجر في فتح الباري (٨/٥٩٦) : (واختلف في المراد «بالقدم» فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة وهو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله، بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله .

ثم قال : وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك فقال : المراد إذلال جهنم، فإنها إذا بالغت في الطغيان وطلب المزيد أذلها الله فوضعها تحت القدم، وليس المراد حقيقة القدم. . . الخ.

وقيل المراد بالقدم : الفرط السابق أي يضع الله فيها ما قدمه لها من أهل العذاب. . . الخ.

وقيل المراد بالقدم : قدم بعض المخلوقين فالضمير للمخلوق معلوم، أو يكون هناك مخلوق اسمه قدم .

أو المراد بالقدم الأخير، لأن القدم آخر الأعضاء فيكون المعنى حتى يضع الله في النار آخر أهلها فيها، ويكون الضمير للمزيد .

ثم ذكر تأويلات أخرى ورد عليها إلى أن قال : ومن التأويل البعيد قول من قال : المراد بالقدم قدم ابليس، وأخذه من قوله : «حتى يضع الجبار فيها قدمه» وابليس أول من تكبر فاستحق أن يسمى متجبرا وجبارا، قال : وظهور بُعد هذا يغنى عن تكلف الرد عليه. ثم أورد كلام ابن الجوزي السابق، ورده عليه .

هذه هي التأويلات الكثيرة التي أشار إليها الناقد. فياترى أي تأويل منها هو الصواب حتى نأخذ به ؟ وصدق الله ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾. أليس الأسلم والأحكم والأعلم، هو

طريق السلف التي ذكرهـا ابن حجر وهي إمرار هذه النصوص كما جاءت من غير تعرض لتأويلهـا، على ما قالـه الإمـام مالـك في الاستواء : انه معلوم والكيف مجهـول والسؤال عنـه بدعـة، وذلك في جميع الصفات كما أشار ابن حجر أن مذهب السلف هو ذلك في جميع الصفات .

وهذا يؤكد لنا أن الحافظ ابن حجر يسلك مسلك السلف في هذا الباب وقد ورد كثير عنه يؤيد مذهب السلف .

رابعـا : قولـه : قال أبـو الـوفـا ابن عقيـل : تعالى الله عن انه لا يعمل أمره في النار حتى يستعين عليها بشيء من ذاته أو صفاته . . . الخ .

أقـول : أن هذا التأويـل لنص صحيح ثابت عن رسول الله ﷺ، من نوع تلك التأويـلات السـابقـة، وقـد ذكـره ابن حجـر في فتح الباري ضمن تلك التأويـلات التي سبق ذكـرها . في شرح الحديث نفسه قوله :

الخلاصة : ان الحديث صحيح بأن النار تقول[1] : هل من مزيد . . . الخ .

الجـواب : ان علماء الأمـة والتـابعـين إلى الأئمة الأربعة مجمعون على انه إذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ فلا قول لأحد مع قوله . بل يجب الرضاء والتسليم بما دل عليه سواء أدرك العقل الحكمة أو لم يدركها فالله يقـول : ﴿ . . . **ومـا كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله امرا أن يكـون لهم الخـيرة من أمـرهـم**﴾ فمادام النـاقـد يسلم بصحـة الحديث ولاشـك في ذلـك فهـو في الصحيحـين فيجب عليه الإيمان بمقتضاه، ولا

---

(١) **سؤال** : المؤولة جميعا والناقد منهم، قالوا : ان الكلام حقيقة بالحرف والصوت لا يكون إلا ممن عنـده آلـة ـ كالحنجـرة واللسـان والشفـتـين . . . الـخ وإذا لم توجد فلا يصح نسبة الكلام لعدم الآلة لأنه لا يسـتطيع النطق .

والناقد هنا يقول : إن النار تقول : هل من مزيد . ومعلوم أنه ليس لها آلة تنطق بها، وهذا من تناقض أهل التأويل، ومن هذا الباب قوله تعالى «اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشد أرجلهم بما كانوا يكسـبون» .

يحق له ولا لغيره الاعتراض على رسول الله ﷺ بحجة أن عقله لم يقبله، بل عليه أن يتهم عقله ويكون منصفا وله أسوة في ذلك بعمر بن الخطاب الذي قال: «أيها الناس اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم الحديبية وإني لأرد قول رسول الله ﷺ . . . أو كما قال.

قوله: وذكر في ترجمة المؤلف ـ أي الهروي ـ أن مسعود بن سبكتكين قدم هراة سنة ثلاثين وأربعمائة فاستحضر شيخ الإسلام . . . الخ. فالقصة كالتالي: قال ابن رجب[1] في ترجمة الهروي وقد ذكر قصصا كثيرة جرت له مع مخالفيه في العقيدة: وذكر الرهاوي، أن الحسين بن محمد الكتبي ذكر في تأريخه، أن مسعود بن سبكتكين قدم هراة سنة ثلاثين وأربعمائة فاستحضر شيخ الإسلام وقال له: أتقول: ان الله عز وجل يضع قدمه في النار؟ فذكر القصة: وقد أوضح فيها انه لا يقول إلا بما ثبت عن رسول الله ﷺ مبينا له أن الرسول لا يقول عن الله إلا الحق، وعلماء هذه الأمة ثقات لا يزيدون على ما سمعوه من رسول الله ﷺ لأنهم يعلمون أن من كذب عليه متعمدا فسيتبوأ مقعده من النار. ومما قاله رسول الله ونقله عنه الثقات حديث أنس هذا المتفق عليه، وقد ورد فيه قوله ﷺ: واما النار فلا تمتلىء حتى يضع الجبار فيها قدمه» وقد قال ابن حجر: أن طريق السلف في هذه الصفة وغيرها إمرارها كما جاءت. ولم ينقدح في أذهانهم ما انقدح في أذهان المؤولة من التشبيه أولا ثم التعطيل ثانيا، ومنهم الناقد عفى الله عن الجميع.

الباب الحادي والعشرون في الرد ص (٣٧) وهو في الأربعين الباب الثلاثون ص (٧٩) وعنوانه: **(باب إثبات الهرولة لله عز وجل)**:

قال الناقد: وروى ـ أي الهروي ـ حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا دعاني، ان

---

(١) طبقات الحنابلة ١/ ٥٠.

تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب مني ذراعا تقربت إليه باعا وان جاءني يمشي أتيته هرولة»(١).

وقبل أن نذكر أوجه النقد التي وجهها الناقد والرد عليه نذكر كلمة عامة عن نصوص الصفات فنقول : ان الذين يعظمون الله سبحانه ويقدرونه حق قدره، ولله المثلى الأعلى. هم الذين يقفون مع نصوص الكتاب والسنة ويؤمنون بأن الله أعلم بنفسه من خلقه وأن رسوله ﷺ أعلم الخلق بالله وأتقاهم وأخشاهم له. وهو أعلم بما قاله، ولم يثبت عنه ﷺ تأويل تلك النصوص ولم يثبت أيضا عن أحد من أصحابه أو اتباعهم بإحسان إلى الأئمة المتبوعين تأويل شي من ذلك .

فإذا جاء المؤولة فحرفوا تلك النصوص عن معانيها المفهومة منها في لغة من خوطبوا بها فكأنهم يقولون : ان الرسول ﷺ تكلم بشيء وهو لا يعلم معناه، وكذلك الذين حضروا التنزيل وسمعوا الرسول مباشرة ومثلهم الذين جاءوا بعدهم، حتى جاء هؤلاء المؤولة فبينوا للناس معاني تلك الألفاظ التي لم يفهمها من سبقهم(٢). وما علموا بأنهم بهذا المنهج الفاسد نزعوا من قلوب الناس هيبة تلك النصوص وعظمة من اتصف بها لأنهم لم يفهموا من تلك النصوص إلا ما شاهدوه في المخلوق، ولذلك فهم شبهوا أولا وعطلوا ثانيا .

---

(١) تخريج الحديث : البخاري / التوحيد / باب قول الله «ويحذركم الله نفسه» فتح الباري ١٣/٣٨٤ ح ٧٤٠٥.

مسلم / في التوبة / باب في الحض على التوبة. ٤/١٠٢ ح ١.

المسند ٢/٢٥١، ٤١٣. ابن ماجه / في الأدب / باب فضل العمل ٢/١٢٥٥ - ١٢٥٦ ح ٣٨٢٢.

البخاري / خلق أفعال العباد والرد على الجهمية ص ١٨٨.

ابن مندة / الرد على الجهمية ص ٩٣ ح ٨٠. وله شاهد في البخاري عن أنس في التوحيد باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه. فتح الباري ١٣/٥١٢ ح ٧٥٣٧.

وفي مسلم / الذكر والدعاء، ٤/٢٠٦٧ ح ٢٠ عن أنس.

(٢) الفتاوى ٥/٤١٣.

واسمع لقول ـ الناقد للهروي ـ وكذلك ما يتلوه من قول السلف للرد عليه ليتضح للقارىء ما أقول. **يقول الناقد** بعد إيراده الحديث:

قلت: حيث أثبت القدمين لله تعالى ـ ويعنى به ـ ما سبق في الباب قبل هذا من قول رسول الله ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿**يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد**﴾ من حديث أنس «يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يدلى رب العالمين فيها قدمه فتقول قط قط» قال: فمن المعقول جداً أن يثبت له الهرولة أي الجري بهما. وهذا هو توحيد الحافظ الهروي ومن على شاكلته.

قال: وان أردت التوحيد الحق فأعلم ان الهرولة في حق الله محال، ثم أورد قول الكرماني وغيره ممن أولوا هذا النص وغيره.

قلت: وهذا ما سبقت الإشارة إليه من أن المؤولة لنصوص الكتاب والسنة التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ، لا يفهمون منها إلا ما يفهمونه من المخلوق، ولما فهموا هذا التشبيه انتقلوا للتعطيل الذي يسمونه تنزيهاً. وإليك ما قاله علماء أهل السنة في هذا الحديث وفي جميع نصوص الأسماء والصفات ـ التي اشتركت فيها الألفاظ، وقد كتب الشيخ محمد صالح العثيمين رسالة أسماها (القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى) وأورد فيها عدداً من شبه المؤولة ورد عليها، ومن تلك الشبهة ما قيل في هذا الحديث، فقال: **المثال الثاني عشر**: قوله ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: «من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشى أتيته هرولة». **قال**: وهذا الحديث صحيح رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وروى نحوه من حديث أبي هريرة أيضا وكذلك روى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التوحيد في صحيحه الباب الخامس عشر.

ثم قال: وهذا الحديث كغيره من النصوص **الدالة على قيام**

الأفعال الاختيارية بالله تعالى وأنه سبحانه فعال لما يريد كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة مثل قوله تعالى : ﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**﴾ وقوله : ﴿**وجاء ربك والملك صفا صفا**﴾، وقوله : ﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك**﴾، وقوله : ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ وقوله

ﷺ : «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر» وقوله ﷺ : «ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه» إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على **قيام الأفعال الاختيارية به تعالى** .

قال : فقوله في هذا الحديث : **تقربت منه وأتيته هرولة، من هذا الباب**. والسلف أهل السنة والجماعة يجرون هذه النصوص على ظاهرها وحقيقة معناها اللائق بالله عز وجل من غير تكييف ولا تمثيل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول ص (٤٦٦) ج (٥) من مجموع الفتاوى : وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته **من يثبت قيام الأفعال الاختيارية** بنفسه ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستوائه على العرش وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر. اهـ. فأي مانع يمنع من القول بأنه يقرب من عبده كيف يشاء مع علوه؟، وأي مانع يمنع من إتيانه كيف يشاء بدون تكييف ولا تمثيل ؟ وهل هذا إلا من كماله أن يكون فعالا لما يريد على الوجه الذي يليق به»[1]اهـ.

قلت : وإذا كان هذا مذهب السلف في نصوص الصفات جميعا، وهذا فهمهم لها، فكيف يسوغ للناقد أن يقول عن الهروي انه ضعيف في الفهم والاستنباط كما انه يعنى بقوله : هذا توحيد الهروي ومن على

---

(١) القواعد المثلى ص ٦٩ - ٧١.

شاكلته جميع السلف، فإن هذا هو توحيدهم : وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ. من صحابة وتابعين والأئمة الأربعة، فكلهم على ذلك، ومعناه عند الناقد انهم كلهم مشبهة ومجسمة كما يقول عن الهروي .

الباب الثاني والعشرون في الرد ص (٣٨) وهو في الأربعين الحادى والثلاثون ص (٨٠) وعنوانه : **(باب إثبات نزوله إلى السماء الدنيا)** :

قال الناقد : وروى - أي الهروي - عن عرابة الجهني قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا مضى شطر الليل أو قال ثلثاه ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا فيقول : لا أسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يستغفرني أغفر له حتى ينفجر الصبح».

وقال الناقد : **قال الحافظ** : استدل به من أثبت الجهة، وقال هي جهة العلو. وأنكر ذلك الجمهور[1]، لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز. تعالى الله عن ذلك. وقد اختلف في معنى النزول على أقوال :

فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته، وهم المشبهة، تعالى الله عن قولهم.

ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة، وهم الخوارج والمعتزلة، وهو مكابرة.

ومنهم من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال، فنزه الله تعالى عن الكيفية والتشبيه، وهم جمهور السلف .

---

(١) انظر تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز على نقل ابن حجر هذا، فتح البارى ٣ / ٣٠ ونصه كالتالى : مراده بالجمهور أهل الكلام، وأما أهل السنة - وهم الصحابة رضى الله عنهم ومن تبعهم بإحسان - فانهم يثبتون لله الجهة وهى جهة العلو - ويؤمنون بأنه سبحانه فوق العرش بلا تمثيل ولا تكييف. والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من تحصر، فتنبه وأحذر. والله أعلم. أهـ.

ومنهم من أوله على وجه يليق مستعمل في كلام العرب .

ومنهم من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف .

ومنهم من فصل بين أن يكون تأويله قريبا مستعملا في كلام العرب ، وبين ما يكون بعيدا مهجورا ، فأول في بعض وفوض في بعض ، وهو منقول عن مالك وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد .

قال البيهقي : وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد الا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه . اهـ . كلام الحافظ . قلت : إن من ينكر صفة العلو الثابت بنصوص الكتاب والسنة والفطرة لا يستغرب منه أن ينكر صفة النزول لأنها ملازمة لسابقتها العلو .

وأن من ترك مذهب أهل السنة والجماعة وعدل عن القاعدة المعروفة عندهم في هذا الباب وهي إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل - فلن يستقيم له استدلال ولن يستقر رأيه على قول ، مع العلم ان الحق في المسألة واحد . والدليل على ذلك هذه الأقوال المتعددة في صفة واحدة ، تواتر النص بنقلها عن رسول الله ﷺ وقد جمعت تلك النصوص في كتب مستقلة ، ونقلت أقوال سلف الأمة بإثباتها . فأبى المؤولة الا أن يقولوا بآرائهم وعقولهم التي لم تستطع ادراك كيفية أراحهم بين جنوبهم ، فأفرطوا في تأويل تلك النصوص وابعادها عن مدلولها ، أو انكارها مع ثبوتها وتواترها .

ولما كان الناقد مغرقا في التأويل ، لم يختر حتى أقرب تلك الأقوال إلى النصوص مع بيان أن السلف يعلمون معناها من لغة العرب ، ولا يعلمون كيفيتها . ولهذا استمر في نقل التأويلات لا ليختار منها ، وإنما ليأتي هو بتأويل لم يسبق إليه كما قال وسيأتي نصه في الصفحة التالية .

ثم قال : وقال ابن العربي : حكى عن المبتدعة ردّ هذه الأحاديث، وعن السلف إمرارها، وعن قوم تأويلها، وبه أقوال[1].

ثم قال : فأما قوله ينزل فهو راجع إلى أفعاله، لا إلى ذاته بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه. . . وخلص إلى أن المعنى : ينزل أمره، أو الملك بأمره.

ثم استمر في نقل التأويلات وكلها من باب واحد إلى أن وصل إلى قول البيضاوي وهو قوله، قال البيضاوي : ولما ثبت بالقواطع انه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع اخفض منه، فالمراد نزول نور رحمته أي يتنقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضى الرأفة والرحمة[2]اهـ.

قلت : ان هذه التأويلات لنصوص الشارع الحكيم قد ناقشها علماء أهل السنة والجماعة وبينوا بطلانها كما في كتاب النزول لشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره ممن سبقه، وللإمام الدارقطني كتاب خاص باسم «النزول»[3]. ويكفى في بطلان تأويل «نزول الله عز وجل» بنزول أمره، أو الملك بأمره، أو رحمته، حديث رفاعة الجهني رضي الله عنه قال : اقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكديد أو قال بقديد. . .، وفيه : إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيقول : «لاأسأل عن عبادي أحدا غيري، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من

(٢،١) انظر تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز على قول ابن العربي فتح البارى ٣/ ٣٠ ونصه : هذا خطأ ظاهر مصادم لصريح النصوص الواردة باثبات النزول، وهكذا ماقاله بعده البيضاوي باطل، والصواب ماقاله السلف الصالح من الايمان بالنزول وإقرار النصوص كما وردت كسائر صفاته. وهذا هو الطريق الأسلم والأقوم والأعلم والأحكم، فحسبك به.

(٣) مطبوع، أورد فيه ستة وتسعين رواية، عن اثنى عشر صحابيا.

ذا الذي يستغفرني أغفر له، من ذا الذي يسألني أعطيه حتى ينفجر الفجر»[1]اهـ.

والسؤال : فهل أمر الله، أو رحمته، أو الملك الذي ينزل بأمره، يقول : **لا أسأل عن عبادي أحدا غيري ؟ لا أظن أن عاقلا يؤمن بالله** الأحد الذي لا شريك له ان يتجرأ ويقول ان **الملك يقول** : لا أسأل عن عبادي أحدا غيري. والملائكة المطهرون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وأما امر الله ورحمته فهما نازلان على عباده في كل وقت وحين، ولولا رحمته بعباده لما ترك على ظهرها من دابة .

وحديث رفاعة هذا قد ذكره الناقد في نقده لهذا الباب ص (٤٠) وهو الذي استدل به المؤلف ولم يستطع الطعن فيه، ولا تأويله بل قال : وليس فيه ما يدفع التأويل، ولكنه لم ينقل له تأويلا، بل اسند ذلك القول إلى القرطبي كما نقله من فتح الباري .

وهنا نصل إلى رأي الناقد الذي لم يسبق إليه كما يقول، قال : «ولي رأي في الحديث لم يتعرض له أحد، وهو الصواب إن شاء الله وبيان ذلك : ان الله تعالى قال : **﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾**. وقال سبحانه : **﴿ان ربى قريب مجيب﴾**. فالله قريب من خلقه ليس بينه وبينهم مسافة **يقطعها نزول**... إلى أن قال : **فنزوله كناية عن تنزله في تجليه** على عباده المؤمنين القائمين في ذلك الوقت من الليل، إلى أن قال : ومعنى **التنزل في التجلي** انه يتجلى على المؤمنين بقدر ما تستطيعه روحانيتهم لطفا بهم ورحمة لهم والله تعالى أعلم .

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٤/ ١٦ من طريق هشام الدستوائى.
والآجرى فى الشريعة ص ٣١٠، ٣١١.
والدارمى فى الرد على المريس العنيد، عقائد السلف باب النزول ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨.
والدارقطني فى كتاب النزول ص ١٤٥ ـ ١٤٩ ح ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١.

هذا هو الرأي الذي لم يسبق الناقد إليه ـ وخلاصته : إنكار النزول الـذي وردت به النصـوص وآمن به السلف، وقـد ذكر شيخ الإسلام هذا المعنى عن المنكـرين ورد عليـه، وسـوف أورد نصه حتى نعلم انه مسبوق لهذا المعنى، لأن ما يحصل في قلوب العابدين وقت السحر حاصل في الأرض .

وفلسفـة المؤولـة الـذين قالـوا : ينزل أمره، أو رحمته أو ملَكه أو انه استعاره لمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه، هكذا نقل عنهم كما في ص (٣٩) من الرد. وهو يقول انه ـ كناية عن التجلي، على المؤمنين بقـدر ما تستطيعـه روحـانيـاتهم، وليس نزولا حقيقيا كما في حديث رفاعة الجهني السـابق : «لا أسأل عن عبـادي أحـدا غيري . . . من يستغفرني فأغفـر له» وإنـما هو تجلى لأصحـاب الـروحانيات. فما هو الجديد في هذا الرأي غير الرد للنص .

وامـا استـدلالـه بالآيـة : ﴿**وإذا سألـك عبـادى عنى فإنى قريب. . .**﴾ فلاشك في ذلك انه قريب . وهو مستو على عرشه، وقد دل على ذلـك قولـه تعـالى : ﴿**قـد سمـع الله قول التى تجادلـك في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمـع تحاوركـما ان الله سميـع بصـير**﴾ . ولكن هل النـاقـد يؤمن بأن الله مستـو على عرشه كما أخبر بذلك في كتابه ؟ وقد مر قوله في ذلك .

ولكن اسمع لقول عائشة أم المؤمنين المبرأة من فوق سبع سماوات كما يصفهـا مسـروق حين يروي عنهـا، روى الإمـام أحمـد في مسنـده (٦/٤٦) . . . عن عروة، عن عائشـة قالت : الحمـد لله الـذي وسـع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمـع ما تقـول، فأنـزل الله عز وجل ﴿**قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها**﴾ . . . إلى آخر الآية .

وفي روايــة ابن أبي حاتم . . . عن عروة عن عائشـة انهـا قالت : تبـارك الـذي وعى سمعـه كل شيء، اني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى على بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول : يارسـول الله أكـل شبـابي ونثـرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولـدى ظاهـر مني، اللهم إني أشكـو إليـك. قالت : فما برحت حتى نزل جبر يـل بهذه الآيـة : ﴿قـد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها﴾ وقال زوجها أوس بن الصامت»[1].

أقول : ان المتأمل في هذه القصة، المؤمن بما دل عليه هذا النص يشعـر في نفسـه بعظمة خالقه سبحانه، فيراقب نفسه في جميع أحواله لأنه يؤمن بأن ما ينطق به لسانه يسمعه خالقه من فوق سبع سماوات في حينه وأنه سيجازيه على ذلك .

ولكن المؤولـة النـافـين لما دلت عليه هذه النصوص حرموا أنفسهم هذه النعمة وشوشوا على الآخرين بهذه الشبهة الواهية. فسموا من أثبت العلو لله تعـالى، بأنـه مشبـه ومجسم، وأنـما دلت عليـه النصوص هو هذا المفهوم وذلك تنفير للناس ممن يثبت لله ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ، على ما يليق بجلاله وكماله، وأنه فعال لما يريد .

ونختم هذا ببعض الأوجه التي أوردها شيخ الإسلام ابن تيمية في الـرد على نفـاة النـزول وهي أوجـه تتنـاول ما أورده النـاقد من تأويلات فتـدحضهـا حتى ما ادعـاه من انـه تأويـل لم يسبق إليـه، قال في المجلد الخـامس من الفتـاوى ص (٤١٥) : «وأمـا قول النـافي : إنـما ينزل أمره

(١) المسند ٦/٤٦.
البخارى فى كتاب التوحيد ١٣/٣٧٢ معلقا.
ابن ماجه المقدمة/ باب فيما أنكرت الجهمية ١/٦٧ ح ١٨٨.
ابن جرير الطبري، التفسير ٢٨/٥ - ٦.
وذكره ابن كثير ٨/٦٠ - طبعة الشعب.

ورحمته، فهذا غلط من وجوه، وقد تقدم التنبيه على ذلك على تقديرٍ كون النفـاة من المثبتـة للعلو. وأمـا إذا كان من النفـاة للعلووالنزول جميعاً[1]، فيجاب أيضا بوجوه :

أحـدهـا : ان الأمـر والـرحمـة إمـا ان يراد بها أعيـان قائمة بنفسها كالملائكة، واما أن يراد بها صفات واعراض. فإن أريد الأول، فالملائكة تنـزل إلى الأرض في كل وقت وهـذا خص النـزول بجوف الليل، وجعل منتهـاه سماء الـدنيـا، والمـلائكـة لا يختص نزولهم لا بهذا الزمان ولا بهذا المكـان، وإن أريـد صفات وأعراض مثل ما يحصل في قلوب العابدين في وقت السحـر[2] من الـرقـة والتضـرع وحـلاوة العبـادة ونحو ذلك، فهذا حاصل في الأرض ليس منتهاه السماء الدنيا.

الثـاني : ان في الحـديث الصحيـح «انه ينزل إلى السماء الدنيا ثم يقـــول «لا اسأل عن عبـادي غير ى»، ومعلوم أن هذا كلام الله الـذي لا يقوله غيره.

الثـالث : انـه قال : «ينـزل إلى السـماء الـدنيا، فيقول : من ذا الـذي يدعـوني فأستجيب له ؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفـرني فأغفـر له؟ حتى يطلع الفجـر»، ومعلوم انـه لا يجيب الـدعاء ويغفـر الـذنـوب ويعطي كل سائـل سؤ اله إلا الله، وأمره ورحمته لا تفعل شيئاً من ذلك.

---

(١) قلت : ومنهم الناقد للهروى، فإنه قد سبق ذكر قوله : ان العلو معنوي حكاه مقرا له، وهذا أحد تأويلاته التى أوردها في حديث النزول هذا.

(٢) وهـذا معنى ما تقـدم من قول النـاقـد. ان النـزول كناية عن تنزله في تجليه على عباده المؤمنين القـائمـين في ذلـك الـوقت من الليل. . . الخ وأنه رأيه الذي لم يتعرض له أحد قبله. هكذا يقول كما سبق نقله وهو في الرد ص ٤٠ وجزم بأنه هو الصواب.

الرابع : نزول أمره ورحمته لا تكون إلا منه ؛ وحينئذ فهذا يقتضي أن يكون هو فوق العالم ، فنفس تأويله يبطل مذهبه ؛ ولهذا قال بعض النفاة لبعض المثبتين : ينزل أمره ورحمته ؛ فقال له المثبت : فممن ينزل ؟! ما عندك فوق شيء ؛ فلا ينزل منه لا أمر ، ولا رحمة ولا غير ذلك ؟! فبهت النافي وكان كبيراً فيهم .

الخامس : انه قد روى في عدة أحاديث : «ثم يعرج» وفي لفظ «ثم يصعد» .

السادس : أنه إذا قدر ان النازل بعض الملائكة ، وأنه ينادي عن الله كما حرف بعضهم لفظ الحديث فرواه «ينزل» من الفعل الرباعي المتعدي أنه يأمر مناديا ينادي ؛ لكان الواجب أن يقول : من يدعو الله فيستجيب له ؟ من يسأله فيعطيه ؟ من يستغفره فيغفر له ؟ كما ثبت في «الصحيحين» ، «وموطأ مالك» و«مسند أحمد بن حنبل» ، وغير ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ انه قال : «إذا أحب الله العبد نادى في السماء ياجبريل إني أحب فلانا فأحبه ؛ فيحبه جبريل ؛ ثم ينادي جبريل : إن الله يحب فلانا فأحبوه ؛ فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض» ، وقال في البغض مثل ذلك .

فقد بين النبي ﷺ الفرق بين نداء الله ونداء جبريل ، فقال في نداء الله : «يا جبريل ! إني أحب فلانا فأحبه» ، وقال في نداء جبريل «إن الله يحب فلانا فأحبوه» ، وهذا موجب اللغة التي بها خوطبنا ، بل وموجب جميع اللغات ، فإن ضمير المتكلم لا يقوله إلا المتكلم . فاما من اخبر عن غيره فإنما يأتى باسمه الظاهر وضمائر الغيبة . وهم يمثلون نداء الله بنداء السلطان ويقولون : قد يقال : نادى السلطان ، إذا أمر غيره بالنداء ـ وهذا كما قالت الجهمية المحضة في تكليم الله لموسى : إنه أمر غيره فكلمه ، لم يكن هو المتكلم .

فيقال لهم : إن السلطان إذا أمر غيره أن ينادي أويكلم غيره أو يخاطبه؛ فإن المنادى ينادي : معاشر الناس ! أمر السلطان بكذا، أورسم بكذا، لا يقول إني أنا أمرتكم بذلك . ولوتكلم بذلك لأهانه الناس ولقالوا : من أنت حتى تأمرنا ؟! والمنادي كل ليلة يقول : «من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟» كما في ندائه لموسى عليه السلام : ﴿**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري**﴾، وقال : ﴿**إنني أنا رب العالمين**﴾ . ومعلوم أن الله لو أمر ملكا أن ينادي كل ليلة أوينادي موسى لم يقل الملك : «من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له» . ولا يقول : «لا اسأل عن عبادي غيري»[1].

١٧ـ الرد على ما أورده الناقد في خاتمة بحثه من دعواه على الهروي أنه مجسم .

وفي ص (٤٢) **قال الناقد** : (خاتمة فيها مسائل) : وقد أورد في هذه الخاتمة وهي من ص (٤٢ ـ ٤٨) وهي آخر الكتاب وخلاصة ما ورد في هذه الخاتمة الأمور التالية :

١ ـ ذكر عن ابن العربي انه قال في القواصم والعواصم : والأحاديث الصحيحة في هذا الباب ـ يعنى باب الصفات ـ على ثلاث مراتب :

الأولى : ما ورد من الألفاظ وهو كمال محض . . . فهذا يجب اعتقاده .

الثانية : ما ورد وهو نقص محض، فهذا ليس لله فيه نصيب فلا يضاف إليه إلا وهو محجوب عنه في المعنى ضرورة كقوله «عبدي مرضت فلم تعدني» وما أشبهه .

الثالثة : ما يكون كمالا ولكنه يوهم تشبيها، فأما الذي ورد كمالا

(١) الفتاوى ٥/٤١٨ .

محضا كالوحدانية والعلم والقدرة . . . الخ . فلا كلام فيه ولا توقف وأما الذي ورد بالآفات المحضة والنقائص، كقوله : ﴿**من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا**﴾ قوله : «جعت فلم تطعمني وعطشت» . فقد علم المحفوظون والملفوظون والعالم والجاهل، ان ذلك كناية عمن تتعلق به هذه النقائص ولكنه اضافها إلى نفسه الكريمة المقدسة تكرمة لوليه وتشريفا . . . الخ .

قال : وإذا جاءت الألفاظ المحتملة التي تكون للكمال بوجه، للنقصان بوجه، وجب على كل مؤمن حصيف أن يجعلها كناية عن المعاني التي تجوز عليه وينفي مالا يجوز عليه . ومثل ـ باليد، والساعد، والكف والأصبع، وانها عبارات بديعة تدل على معان شريفة . . . إلى أن قال فقوله : «ان الصدقة تقع في يد الرحمن» عبر بها عن كف المسكين تكرمة له . . . وما يقلب بالأصابع يكون ايسر وأهون ويكون اسرع .

قال : وانظر بقية كلامه في ج (٢ / ٤٢) من الكتاب المذكور وهو كلام نفيس للغاية . ثم نقل عن ابن الجوزي، وعن السبكي، وسيأتي ذكر ذلك بعد التنبيه على ما ورد في كلام ابن العربي .

تنبيه : ذكر الناقد عن ابن العربي أن **الأحاديث الصحيحة** في باب الصفات على ثلاث مراتب :

١ ـ كمال محض .

٢ ـ نقص محض .

٣ ـ ما يكون كمالا ولكنه يوهم تشبيها .

والجواب : ان ما ثبت عن رسول الله ﷺ في وصف الله سبحانه

ليس فيه نقص مطلقا بل كله كمال، فالرسول اتقى الناس وأخشاهم لله[1] وهو أعلم الخلق بالله . فلا يجوز أن يقال ان هناك حديثاً صحيحاً في وصف الله تعالى وهو نقص محض تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ولكن الفهم السقيم هو الذي أحال ذلك النص إلى هذا المعنى ، وإذا نظرنا للأمثلة التي ذكرها يتبين لنا ذلك .

فقد مثل بقوله : «مرضت فلم تعدني» وقوله : «جعت فلم تطعمني وعطشت» وقوله : ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسنا﴾ . هذه الأمثلة التي أوردها جعلها صفات لله ، وأنها نقص محض في حق الله فيجب ردها. هكذا فهم من هذه النصوص وحيث إن الشيخ محمد صالح العثيمين في رسالته القواعد المثلى ، قد أورد هذا الحديث نفسه ضمن الشبه التي أوردها أهل التأويل على نصوص الكتاب والسنة في صفات الله تعالى وادعوا أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها ، وذلك لإلزام أهل السنة بالتأويل ، ماداموا أولوا هذه النصوص ، وقد رد على هذه الشبهة ردا مجملا ومفصلا ، أما المفصل فكان على كل نص ادعى المؤولون فيه أن السلف صرفوه عن ظاهره، وكان من تلك النصوص هذا النص الذي نقله الناقد عن ابن العربي «مرضت فلم تعدني . . . الخ . » ولذا فإني سوف اكتفى بما قاله في هذا النص ردا على هذا القول .

قال : المثال الخامس عشر : قوله تعالى في الحديث القدسي : «يابن آدم مرضت فلم تعدني» الحديث. وهذا الحديث رواه مسلم في باب فضل عيادة المريض من كتاب البر والصلة والآداب رقم (٤٣) ص (١٩٩٠) ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ، رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى يقول يوم القيامة

(١) البخارى/ الأدب/ فتح البارى ١١/ ٥١٣ ح ٦١٠١ .

يابـن آدم مرضـت فلم تعـدني، قال : يارب كيـف أعـودك وأنـت رب العـالمين. قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده، يابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال : يارب وكـيف أطعمـك وأنت رب العـالمـين، قال : أمـا علمت انـه استطعمـك عبـدي فلان فلم تطعمـه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال : يارب كيف أسقيك وأنت رب العـالمين قال : استسقـاك عبـدي فلان فلم تسقـه أما انك لو سقيته وجدت ذلك عندي».

ثم قال بعـد إيـراد نص الحديث هذا : والجواب أن السلف أخذوا بهذا الحديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم وإنما فسـروه بما فسـره به المتكلم به، فقـولـه تعـالى : «مـرضـت واستطعمتك واستسقيتـك، بينـه الله تعـالى بنفسـه حيث قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض، وانه استطعمك عبدي فلان، واستسقاك عبدي فلان، وهو صريـح في أن المـراد به مرض عبـد من عبـاد الله، واستطعام عبد من عباد الله، واستسقـاء عبـد من عبـاد الله، والذي فسره بذلك هو الله المتكلم به وهو أعلم بمراده، فإذا فسرنا المرض المضاف إلى الله والاستطعام المضاف إليه والاستسقاء المضاف إليه بمرض العبد واستطعامه واستسقائه لم يكن في ذلك صرف للكلام عن ظاهره، لأن ذلك تفسير المتكلم به فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتـداء. وإنـما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولا للترغيب والحث كقوله تعالى : ﴿من ذا الذي يقرض الله﴾ .

قال : وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل الذين يحرفـون نصـوص الصفـات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى ولا من سنـة رسـولـه ﷺ وإنـما يحرفـونهـا بشبـه باطلة هم فيهـا متنـاقضـون مضطـربـون. إذ لو كان المـراد خلاف ظاهـرها كما يقولون لبينه الله تعالى

ورسوله، ولو كان ظاهرها ممتنعا على الله ـ كما زعموا ـ لبينه الله ورسوله كما في هذا الحديث. ولو كان ظاهرها ممتنعا على الله لكان في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه مالا يحصى إلا بكلفة وهذا من أكبر المحال». وبهذا يتضح أن ما مثل به الناقد مضيفا له إلى ابن العربى ليس مما توهمه من أن ما ثبت في الأحاديث الصحيحة في صفات الله وهو نقص محض فيرد.

إذ أن تمثيله بقوله: «مرضت فلم تعدنى» ليس من صفات الله سبحانه وتعالى: ولا يجوز لمسلم أن يظن برسول الله ﷺ أن يصف الله سبحانه بما هو نقص محض. ان نسبة هذا القول لرسول الله ﷺ يمس بجانب النبوة.

ان الذي جر لهذا القول هو الفهم السيىء والجري وراء من يذهب لتأويل نصوص الشرع فيدعى ان ما ليس بوصف لله وصفاله حتى يتوصل إلى مسوغ يستبيح به تأويل صفات الله الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ومن هنا نجد شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على البكري ص (١٧٤) بعد ذكر لفظ الحديث يقول: «فالخبر مقيد لم يطلق الخطاب إطلاقا، وإنما بين ان عبده هو الذي مرض وهو الذي جاع وقال: «لو أطعمته لوجدت ذلك عندي» ولم يقل لوجدتني أكلته. وقال «لو عُدْتَه لوجدتني عنده» ولم يقل لوجدتني إياه. قال: والحديث خطاب مفسر مبين أن الرب عز وجل ليس هو العبد ولا صفته صفته ولا فعله فعله، أكثر ما فيه استعمال لفظ الجوع والمرض مقيدا مبينا للمراد فلم يطلق الخطاب إطلاقا. وأيضا فقد علم المخاطب ان الرب تعالى لا يجوع ولا يمرض، فلم يكن فيه تلبيس لا من جهة السمع ولا من جهة العقل بل المتكلم بين فيه مراده والمستمع له لم يشتبه عليه. اهـ. هذا بالنسبة لحديث: «مرضت

فلم تعدني وجعت فلم تطعمني» وما أشبه ذلك مما جاء موضحا ومفسرا ومبينا المراد منه وليس صفة لله تعالى .

أما ما اضافه من الصفات الأخرى «كاليد، والأصبع» ونحوها من صفات الكمال الثابتة بالكتاب والسنة، وقد سبقت الأدلة الصريحة من القرآن والصحيحة الصريحة من السنة. فليس في هذا وهم ولا تشبيه وإنما هي صفات كمال أثبتها الله لنفسه في كتابه وأثبتها له رسوله في سنته الصحيحة. إنما الوهم قائم بأذهان المؤولة لنصوص الصفات حيث لم يعرفوا منها إلا ما عرفوه من المخلوق .

يقول نعيم بن حماد الخزاعي : «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها»(١) .

ومما جاء في الخاتمة ص (٤٣) :

٢ ـ قال الحافظ ابن الجوزي في كتاب دفع شبه التشبيه : رأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح. فصنفوا كتبا شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مستوى العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس، ثم ذكر عددا من الصفات منها ما ورد به النص، ومنها ما لم يرد ذكره إلا في أحاديث موضوعة، لم يقل بها أحد من السلف ـ مثل اللهوات والأضراس «وقَصْدُ الناقد بهذا التلبيس على الشباب الذين لا يعرفون عقائد المؤولة» .

قال : وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة ولا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل. ثم لما أثبتوا

---

(١) الفتاوى ٥ / ٢٦٣ .

أنها صفات، قالوا : لا نحملها على توجيه اللغة مثل : يد، على نعمة وقدرة، **ولا مجيء وإتيان**، على معنى بر ولطف . **بل قالوا نحملها على** ظواهرها المتعارفة. والظاهر هو المعهود من نعوت الادميين. . . الخ.

ثم يتحرجون من التشبيه ويقولون نحن أهل السنة، وكلامهم صريح في التشبيه. . . الخ. إلى أن قال : وأنتم أصحاب نقل واتباع، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله يقول وهو تحت السياط : كيف أقول مالم يقل ؟ فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس فيه، ثم قلتم في الأحاديث : تحمل على ظاهرها فظاهر القدم الجارحة. ومن قال : استوى بذاته المقدسة فقد أجراه سبحانه مجرى الحسيات. وينبغي أن لا **يهمل ما ثبت به الأصل وهو العقل** فإنا به عرفنا الله تعالى. . . الخ.

هذه خلاصة ما نقله الناقد عن ابن الجوزي من كتابه المسمى «دفع شبهة التشبيه» وهو كتاب تأويل كغيره من كتب أهل الكلام، ولم يقل أحد ان كل من انتسب إلى الإمام أحمد بن حنبل انه على مذهبه في الاعتقاد.

أما المغالطة التي وردت في هذا النص ـ وهي أن من قال : تُجرى النصوص على ظاهرها فقد خالف الإمام أحمد، فهو محض افتراء عليه، بل ان مذهبه ومذهب أهل السنة قبله وبعده هو اجراء النصوص على ظاهرها على أساس قوله تعالى **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** ويكفي لتوضيح مذهب الإمام أحمد رده على الجهمية المؤولة بكتابه «الرد على الزنادقة والجهمية». وإليك نصا من هذا الكتاب لتعرف ان ما حكاه الناقد عن ابن الجوزي ناسباً ذلك إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه لا صحة له إطلاقا، وانه يجرى النصوص على ظاهرها كما اخبر الله بها.

قال في ص (٩٢) : (بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العـرش)[1] : «فقلنـا لهم : أنكرتم أن يكون الله على العرش، وقد قال

تعـالى : ﴿الـرحمن على العـرش استـوى﴾، وقال : ﴿خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾. فقالوا : هو تحت الأرض السـابعـة. كما هو على العـرش، فهـو على العـرش وفي السمـوات وفي الأرض وفي كل مكـان، ولا يخلو منـه مكـان، ولا يكـون في مكـان دون مكـان. وتلوا آيـة من القـرآن : ﴿وهـو الله فى السموات وفى الأرض﴾. فقلنا : قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظيم الرب شيء. فقـالـوا : أي مكـان ؟ فقلنـا : أجسـامكم وأجـوافكم وأجواف الخنازير والحشـوش والأمـاكن القذرة ليس فيها من عظم الرب شيء، وقد أخبرنا أنـه في السـماء فقـال : ﴿أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض﴾، ﴿أم أمنتم من فى السـماء أن يرسـل عليكم حاصبا. وقال : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ وقال : ﴿إنى متوفيك ورافعك إلى﴾ وقال : ﴿بل رفعه الله إليه﴾.

وقـال : ﴿ولـه من فى السمـوات والأرض ومن عنـده﴾. وقـال : ﴿يخـافـون ربهم من فوقهم﴾، وقـال : ﴿ذى المعـارج﴾، وقـال : ﴿وهـو القـاهـر فوق عبـاده﴾، وقـال : ﴿وهـو العلى العظيم﴾ وبعـد نقل هذه النصـوص القـرآنيـة في إثبـات علو الله واستـوائـه على عرشـه فوق جميع مخلوقـاتـه قال : فهـذا خبر الله أخـبرنـا أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل منه مذموما يقول الله جل ثناؤه : ﴿إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النـار﴾، ﴿وقـال الـذين كفـروا ربنـا ارنـا اللذين أضـلانا من الجن

---

(١) قلت: وهذا رأي الناقد كما سبق، من رده الحديث الذي أخرجه مسلم وحكمه عليه بالشذوذ، لأن فيه أن الجارية لما سألها رسول الله ﷺ «أين الله» فقالت: فى السماء، ويشهد لها الرسول بالايمان أما الجهمية فقد أنكروا ذلك كما ترى قول الإمام ورده عليهم، والناقد يقول بقولهم ـ وقد قال فى ص ٢٨ من الرد ـ فى تأويل «اليد» بالنعمة، قال: وهكذا ولابد وأن قال غلاة المثبتة أنه «تجهم».

والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ .

ثم قال : وقلنا لهم : أليس تعلمون أن ابليس كان مكانه والشياطين مكانهم، فلم يكن الله ليجتمع هووابليس في مكان واحد، وإنما معنى قول الله جل ثناؤه ﴿وهو الله فى السموات وفى الأرض﴾ يقول : هوإله من في السموات وإله من في الأرض، وهوعلى العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش ولا يخلومن علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان. فذلك قوله : ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما﴾[1] .

هذا هو نص قول الإمام أحمد في كتابه (الرد على الزنادقة والجهمية) فأين ما نقله الناقد عن ابن الجوزي ناسبا له إلى الإمام أحمد، علما بأن النص المنقول من (دفع شبه التشبيه) ليس واضحا فيما يقصده الناقد، وإنما هومن باب التشويش على أقل تقدير، وكتاب دفع شبه التشبيه هومن كتب التأويل التي صرفت فيه النصوص عن ظاهرها . وليس كل من انتسب إلى الإمام أحمد على مذهبه في العقيدة بل منهم المخالف ومنهم ابن الجوزي في كتابه هذا .

ومما جاء في الخاتمة ص (٤٥) :

٣ ـ **قال الناقد** : مؤلف كتاب الأربعين، مجسم، ومشبه، وصفه بذلك التاج السبكى في طبقات الشافعية، قال في ترجمة أبي عثمان الصابوني : الملقب بشيخ الإسلام، لقبه أهل السنة في بلاد خراسان، فلا يعنون عند إطلاقهم هذه اللفظة غيره .

وأما المجسمة بمدينة هراة، فلما ثارت نفوسهم من هذا اللقب عمدوا إلى أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى صاحب كتابه ذم الكلام» فلقبوه بشيخ الإسلام، ثم قال : وكان عابدا محدّثاً إلا أنه يتظاهر

(١) الرد على الزنادقة والجهمية للامام أحمد ص ٩٢ ـ ٩٤ . عقائد السلف .

بالتجسيم والتشبيه. وينال من أهل السنة. وقد بالغ في كتابه «ذم الكلام» حتى ذكر ان ذبائح الأشعرية لا تحل، وللأنصاري أيضا كتاب الأربعين، سَمّتها أهل البدعة: الأربعين في السنة. **يقول فيها**: باب إثبات القدم لله، باب كذا وكذا، وبالجملة كان لا يستحق هذا اللقب وإنما لقب به تعصبا وتشبيها له بأبي عثمان الصابوني وليس هو هناك. وكان أهل هراة في عصره فئتين: فئة تعتقده وتبالغ فيه لما عنده من التقشف والعبادة. وفئة تكفره لما يظهره من التشبيه.

قال السبكي: والأشاعرة يرمونه بالتشبيه، ويقولون إنه كان يلعن أبا الحسن الأشعري، قال السبكى بعد أن ذكر كتاب منازل السائرين، ونسب كلاما لابن تيمية وللذهبي عن الكتاب وانه مشتمل على الاتحاد، قال: ـ أي السبكى ـ وأنا لا أعتقد فيه انه يعتقد الاتحاد، وإنما اعتقد أنه يعتقد التشبيه وأنه ينال من الأشاعرة، وأن ذلك لجهله بعلم الكلام وبعقيدة الأشعرية، وكان شديد التعصب للفرق الحنبلية بحيث كان ينشد على المنبر على ما حكى عنه تلميذه محمد بن طاهر:

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت فوصيتي للناس ان يتحنبلوا. اهـ.

قلت: **ذكر الناقد**: أنه نقل هذا من طبقات الشافعية للسبكى في ترجمة أبي عثمان الصابوني الملقب بشيخ الإسلام لقبه أهل السنة في بلاد خراسان. ج (٤/ ٦٧٢). وقد راجعته فوجدته كذلك ج (٤/ ٢٧١). ومما يعجب منه المسلم، أن السبكى ترجم لشيخ الإسلام الصابوني رحمه الله وذكر طرفا من عقيدته بعنوان (وهذه وصيته وقد وجدت بها[1] بدمشق عند دخوله إليها حاجاً) وقد أورد فيها اعتقاد السلف في الصفات وإثبات النصوص وعدم تأويلها، وعقيدة الصابوني هي عقيدة الهروي بعينها، وقد سمى الهرويَّ مجسما ومشبهاً، وأثنى على الصابوني وهذا من حكمة

(١) «بها» هكذا في الأصل، وذكر ذلك المحقق.

الله لإظهــار الحق، إذ لا فرق بين عقيــدة الشيخــين إلا أن الصــابــوني شافعي، والهــروي حنبـلي وللصــابـوني كتـاب مستقل في العقيدة بعنوان «عقيـدة السلف أصحـاب الحديث» . ولكنى سوف أورد نصا مما أورده السبكى عن عقيـدة الصـابـوني، للمقـارنة بين عقيدته وعقيدة الهروي، ليتضـح للقـارىء ماذا يعمـل التعصب والهـوى، بحيث يغطى البصـيرة حتى تصـدر الأحكـام في حق شخص ويـترك ما يماثله. والله يقول **﴿ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾**.

ونبدأ أولا بقول السبكي أن الهروي مجسم ومشبه .

والسؤال : (١) ما حكم المشبه والمجسم عند السلف ؟ .

(٢) وهل من أثبت لله من الصفات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله في سنته الصحيحة يُعتبر تجسيما وتشبيها ؟

والجـواب : يقـول نعيم ابن حماد الخـزاعي : من شبّـهَ الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، **وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيهاً**[1].

ثم نقـول **للسبكى** ـ الـذي حكم على أبي اسـماعيـل الأنصـارى الهـروي بالتجسيم والتشبيـه، وهـو منـه براء، **وللنـاقـد** الـذي نقل كلام السبكى مستدلا به على اتهام الهروي بالتشبيه والتجسيم ـ ماذا يقول في شيـخ الإسـلام أبي عثمان الصابوني الذي نقل جزءا من عقيدته في ترجمته

له التي طعن فيهـا على أبي اسـماعيـل الأنصاري الهروي ـ عرضا ـ وهي عقيـدة السلف وما يعتقده الهروي أيحكم عليه بالتشبيه والتجسيم وإليك تلك العقيـدة من طبقـات الشـافعية للسبكي قال في ترجمة الصابوني رحمه الله بعـد ذكـر ثنـاء العلماء عليه : «وقد حدث عنه البيهقي وهو من أقرانه

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٥/١٩٦ .

وقال فيه : إنه إمام المسلمين حقا، وشيخ الإسلام صدقا، وأهل عصره كلهم مذعنون لعلو شأنه في الدين والسيادة وحسن الاعتقاد وكثرة العلم ولزوم طريقة السلف» .

وقال : «وهذه وصيته وقد وجدتها[1] بدمشق عند دخوله إليها حاجا» : (هذا ما أوصى به إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل أبو عثمان الصابوني الواعظ غير المتعظ. . . إلى أن قال : ويشهد ان الله سبحانه وتعالى مستو على عرشه استوى عليه كما بينه في كتابه في قوله تعالى : ﴿ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾، وقوله : ﴿استوى على العرش الرحمن فسأل به خبيرا﴾. في آيات أخر، والرسول ﷺ تسليما، ذكره فيما نقل عنه، من غير أن يكيف استواءه عليه، أو يجعل لفعله وفهمه أو وهمه سبيلا إلى إثبات كيفيته، إذ الكيفية عن صفات ربنا منفية .

قال إمام المسلمين في عصره أبو عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه، في جواب من سأله عن كيفية الاستواء : «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك زنديقا، أخرجوه من المسجد». ويشهد أن الله تعالى موصوف بصفات العلى التي وصف بها نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ تسليما كثيرا، لا ينفي شيئا منها ولا يعتقد شبها له بصفات خلقه، بل يقول : إن صفاته لا تشبه صفات المربوبين، كما لا تشبه ذاته ذوات المحدثين، تعالى الله عما يقول المعطلة والمشبهة علوا كبيرا .

ويسلك في الآيات التي وردت في ذكر صفات الباريء جل جلاله، والأخبار التي صحت عن رسول الله ﷺ، في بابها، كآيات مجيء الرب يوم القيامة، وإتيان الله في ظلل من الغمام، وخلق آدم بيده، واستوائه على

(١) فى الأصل «بها» بالباء الموحدة من أسفل.

عرشه، وكأخبار نزوله إلى سماء الدنيا، والضحك، والنجوى، ووضع الكنف على من يناجيه يوم القيامة وغيرها مسلك السلف الصالح، وأئمة الدين، من قبولها وروايتها على وجهها بعد صحة سندها، وإيرادها على ظاهرها، والتصديق بها والتسليم لها واتقاء اعتقاد التكييف، والتشبيه فيها، واجتناب ما يؤدي إلى القول بردها، وترك قبولها، أو تحريفها بتأويل يستنكر ولم ينزل الله به سلطانا ولم يجر به للصحابة والتابعين والسلف الصالح لسان. اهـ.

قلت: هذا ما أورده التاج السبكي عن عقيدة شيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني، وقد جاء فيها إثباته لصفة الاستواء مستدلا بالآيات التي وردت بذلك نافيا الكيفية مستدلا على ذلك بقول الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول... كما جاء فيها. إثبات صفة المجيء لله يوم القيامة، واتيان الله في ظلل من الغمام، وخلق الله لآدم بيده، ونزوله تعالى إلى سماء الدنيا، وصفة الضحك، وكل ما وردت به الأحاديث الصحيحة، يرويها على وجهها ويبقيها على ظاهرها ويصدق بها ويسلم لها، ويتقي تكييفها. سالكا مسلك السلف الصالح وأئمة الدين.

وأقول: إن هذه الصفات المنصوص عليها هي التي وردت في كتاب «الأربعين في دلائل التوحيد» للهروي - والذي سماه التاج السبكي «كتاب البدعة».

والناقد: نص على انتقاد الصفات التالية: خلق الله تعالى لآدم بيده - كون الله في السماء مستو على عرشه، صفة النزول، صفة الضحك، صفة المجيء والاتيان. جميع الصفات التي وردت في الأحاديث الصحيحة، في البخاري ومسلم وغيرهما.

فماذا يقول الناقد: أولا عن السبكي الذي يتهم الهروي بالتشبيه والتجسيم. وثانيا عن نفسه الذي يؤيد هذا. ثم يرد على الهروي في

إثباته لتلك الصفات المذكورة. والتي وردت في عقيدة شيخ الإسلام الصابوني، وقد مدحه السبكي واثنى عليه، وكذلك الناقد تبعه في ذلك. وهو قد أثبت هذه الصفات كما في نقل السبكي نفسه عنه ذلك. أن الرجوع إلى الحق خير من التمادى في الباطل والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة. وأنت ترى أيها القارىء انه لا فرق بين شيخ الإسلام الصابوني وشيخ الإسلام الهروي - ولكنه التعصب واتباع الهوى يجر صاحبه لمثل هذا التفريق.

وقول الناقد: نقلا عن السبكي: كان أهل هراة في عصر الهروي فئتين:

١ - فئة تبالغ فيه لما عنده من التقشف.

٢ - وفئة تكفره لما يظهره من التشبيه.

وقوله: ان الأشاعرة يرمونه بالتشبيه، ويقول انه كان يلعن أبا الحسن الأشعري... الخ.

أقول إجابة على هذه الادعاءات على - الهروي - قديمها وهو قول السبكي، كما سبق نقله من طبقات الشافعية في ترجمة «الصابوني». وإثارة هذه القضية حديثا من الناقد - عبد الله بن محمد الصديق - في كتابه هذا - انني حينما حققت كتاب «الأربعين» هذا ومن عادة المحقق - أن يترجم للمؤلف ويعرف به. وقد رجعت لترجمته إلى بعض المراجع منها: «تذكرة الحفاظ» للإمام الذهبي - الذي قال عنه السبكي في ترجمة الصابوني «شيخنا الذهبي». «والعبر» للذهبي أيضا. وكذلك. طبقات الحنابلة لابن رجب. وقد ذكر في ترجمته بعض ما حدث له من المؤولة لنصوص الصفات وعلى رأسهم الأشاعرة. والله يعلم أنني تحاشيت نقل ما حدث، وهو عن الذهبي الثقة عند السبكي وغيره ممن يتبعونه في رأيه إلى العصر الحاضر، وإن كانوا يخالفون الذهبي في الاعتقاد، فهم لا يتبعونه فيما جاء في كتابه «العلو للعلي الغفار». أن الذي منعني من ذلك هو

أن لا يقال : انظروا لمن يسلك مسلك السلف ويحقق كتبهم وينشرها، ينشر مثل هذه الخلافات حتى يحدث بذلك فرقة ونزاعا بين الشباب، كما أنني أعلم أن عدم نقله لا يغير من الموضوع شيئا فمن أراد ذلك وجده فإن تذكرة الحفاظ مطبوعة ومتداولة. وذلك لأن دعوتنا ومنهجنا كما يعلم الله أن نبين للناس لاسيما الشباب المسلم الذي تبشر صحوته الإسلامية بالخير - أن نضع الحق بين أيديهم. إذ لا تفلح أمة تنكرت لماضيها - وليس هناك فهم أصح ولا منهج ابين وأوضح من منهج سلف الأمة الصحابة والتابعون ومن سلك منهجهم واتبع طريقهم وكان الأئمة الأربعة المتبوعون في العالم الإسلامي على منهجهم في الاعتقاد.

والآن مادام الناقد وجه هذا الاتهام للهروي - وانه مجسم ومشبه، وان طائفة من أهل هراة يكفرونه، وانه يلعن أبا الحسن الأشعري. فقد رأيت أنه من الواجب على وقد أصبحت الواسطة الذي بسببه نشر الناقد هذه الادعاءات على - الهروي - أن أبين ذلك لا من عندي ولكن أنقل ما قاله الذهبي وغيره في ترجمة الهروي ابراء للذمة وبيانا للحق متمثلا بقول القائل :

إذا لم تكن الا الأسنة مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها

فأقول : قال الذهبي في تذكرة الحفاظ (ج ٣/ ١١٨٤) بعد ذكر شيوخه : «وصنف الأربعين» وكتاب «الفاروق» في الصفات، وكتاب «ذم الكلام وأهله»، وكتاب «منازل السائرين» وأشياء، وكان سيفاً مسلولاً على المخالفين وجذعا في أعين المتكلمين وطوداً في السنة لا يتزلزل وقد امتحن مرات.

قال ابن طاهر : وسمعته يقول بهراة : عرضت على السيف خمس مرات لا يقال لي : ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي : اسكت عمن خالفك، فأقول : لا اسكت.

قال أبو النصر الفامي في وصفه محاسنه منها نصرة الدين والسنة من غير مداهنة ولا مراقبة لسلطان ولا وزير، وقاسى بذلك قصد الحساد في كل وقت وسعوا في رُوْحه مراراً وعمدوا إلى اهلاكه أطوارا فوقاه الله شرهم وجعل قصدهم أقوى سبب لارتفاع شأنه .

وإليك بيان زيف دعوى انه يلعن أبا الحسن الأشعري :

قال الذهبي فيما ذكره ابن طاهر : وسمعت أحمد بن أميرجه خادم الأنصاري يقول : حضرت مع الشيخ للسلام على الوزير نظام الملك، وكان أصحابنا كلفوه الخروج إليه وذلك بعد المحنة ورجوعه من بلخ (قلت - أي الذهبي : كان قد غرب إلى بلخ) قال : فلما دخل عليه أكرمه وبجله وكان هناك أئمة من الفريقين فاتفقوا على أن يسألوه بين يدي الوزير فقال العلوى الدبوسي : أيأذن الشيخ الإمام أن أسأل، قال : سل، قال : لم تلعن أبا الحسن الأشعري ؟ فأطرق الوزير، فلما كان بعد ساعة قال له الوزير : أجبه . قال : لا أعرف أبا الحسن، وإنما العن من لم يعتقد ان الله في السماء، وان القرآن في المصحف، وان النبي اليوم ليس بنبي . ثم قام وانصرف فلم يمكن أحدا أن يتكلم من هيبته . . . ثم بعث إليه بصلة وخلع فلم يقبلها وسار من فوره إلى هراة . هذه قضية اللعن، وهذا كلام الذهبي، وقد قال عنه السبكي، قال شيخنا الذهبي . أما دعوى التجسيم فإليك القصة التالية .

قال الذهبي في سياق الترجمة عن ابن طاهر : قال : وسمعت أصحابنا بهراة يقولون : لما قدم السلطان ألب ارسلان هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤ ساؤ ه ودخلوا على أبي اسماعيل وسلموا عليه وقالوا : ورد السلطان ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك، وكانوا قد تواطئوا على أن حملوا معهم صنماً من نحاس صغيراً وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ وخرجوا، وقام إلى

خلوتـه، ودخلوا على السلطـان واستغـاثوا من الأنصاري **وأنه مجسم وانه يترك في محرابه صنما يزعم ان الله على صورته**، وإنْ بعث الآن السلطان يجده، فعظم ذلك على السلطان، وبعث غلاما ومعه جماعة فدخلوا الدار وقصـدوا المحراب فأخذوا الصنم ورجع الغلام بالصنم، فبعث السلطان من أحضـر الأنصـاري، فأتى فرأى الصنم والعلماء والسلطـان قد اشتـد غضبه، فقال السلطان له : ما هذا ؟ قال : هذا صنم يعمل من الصفر شبه اللعبة. قال : لست عن ذا أسألك ؟ قال : فعم يسألني السلطان . قال : ان هؤلاء يزعمـون أنـك تعبـد هذا، وانـك تقـول ان الله على صورته، فقال **الأنصاري بصوله وصوت جهوري : سبحانك هذا بهتان عظيم**، فوقـع في قلب السلطـان انهم كذبوا عليه فأمر به فأخرج إلى داره مكـرمـا، وقـال لهم : اصـدقـونى ـ وهـددهم. فقالوا : نحن في يد هذا الـرجـل في بليـة من استيلائه علينا بالعامة فأردنا أن نقطع شره عنا، فأمر بهم ووكل بكل واحد منهم وصادرهم وأهانهم .

قال أبو الوقت عبد الأول : دخلت نيسابور وحضرت على الأستاذ أبي المعالي الجويني فقال : من أنت ؟ قلت : خادم الشيخ أبي اسماعيل الأنصـاري. فقـال : رضي الله عنه، قلت أي الذهبي ـ: اسمع ترضي هذا الإمام عن هذا الإمام، **وإياك وسماع سب هذا الإمام من الأنعام** .

قال أبـو سعـد السمعـاني : كان **مظهـرا للسنـة داعيا إليها محرضا عليهـا** وكـان مكتفيا بما يباسط به المريدين، ما كان يأخذ من الظلمة شيئاً ومـا كان **يتعـدى اطـلاق ما ورد في الظواهر من الكتاب والسنة معتقدا ما صح وغـير مصـرح بما يقتضيـه تشبيه**، وقال : من لم ير مجلسي وتذكيرى فطعن فيّ فهو مني في حل[1].

وبعـد هذه مقتطفـات مما أثبتـه الإمـام الـذهبي في ترجمتـه لأبي

(١) تذكرة الحفاظ ٣/١١٨٥، ١١٨٩.

اسماعيل الأنصاري في كتابه تذكرة الحفاظ، وقد ورد فيها ما يدحض دعوى الناقد على أبي اسماعيل الأنصاري كما نقل ذلك عن التاج السبكى مما نسبه إلى الأنصاري - من نبزه، بالتجسيم، والتشبيه، ودعوى انه يلعن أبا الحسن الأشعري ويتضح بما نقلناه أن كل ذلك افتراء عليه بل ان ذلك الظلم والافتراء صادر من علماء يخالفونه ويدعون عليه التشبيه والتجسم بل وصل بهم الأمر إلى أن وضعوا ذلك الصنم تحت سجادته، ولكن الله لا يهدى كيد الخائنين فقد ظهر الحق وزهق الباطل، فرجع الهروي من عند السلطان مكرما واهين أولئك المتأمرون عليه وصودروا. وهذا جزاء المفترى المعجل في الدنيا.

واختم هذا بالرد على ما ورد من الناقد في أماكن متفرقة من كتابه هذا من ادعائه على الهروي من انه ضعيف في اللغة وبالتالي في الاستدلال - بما أورده الذهبي رحمه الله في ترجمة الهروي فقد قال:

وقال عبد الغافر بن اسماعيل: كان على حظ تام من معرفة العربية والحديث والتواريخ والأنساب إماما كاملا في التفسير[1].

وقال السلفي: وسألت المؤتمن عن أبي اسماعيل الأنصاري فقال: كان آية في لسان التذكير والتصوف من سلاطين العلماء، سمع ببغداد من أبي محمد الخلال وغيره، يروى في مجالسه أحاديث بالأسانيد وينهي عن تعليقها عنه وكان بارعا في اللغة حافظا للحديث[2]

فهذا ما ذكره الحافظ الذهبي عن شاهدي عدل وهما عبد الغافر والمؤتمن للهروي بأنه ذو حظ تام في معرفة اللغة وبارع فيها، ولا أظن بل اقطع ان الناقد لا يستطيع جرح هؤلاء الشهود، وبالتالي فلا قيمة لدعواه إذ لا بينة عليها، إلا أنه خالف هواه... وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

وكان الانتهاء مساء الأربعاء ٢٠/٦/١٤٠٧هـ الساعة ١٢ ليلا.

(١، ٢) تذكرة الحفاظ ٣/١١٨٤ - ١١٩٠.

فهرس

موضوعات الكتاب

	الموضوع	ص
	الرد على دعوى شذوذ الحديث	٧٣
	بيان حذف الناقد لجزء مهم من حديث عمران بن حصين لأنه يرد عليه	٧٥
	اجتزاء الناقد لشطر الآية ﴿لعلى اطلع إلى إله موسى﴾	٧٦
١١ -	**ذكر رد الأئمة على منكر العلوّ لله على خلقه ....**	**٧٧**
	نظم ابن القيم لحديث عمران في اثبات العلو وبيان أن ماعُبّر عنه «بالمعنوي» لايوجد إلا في الذهن ، والله سبحانه موجود حقيقة	٧٧
	رد البخاري على منكري العلو	٧٨
١٢ -	**الإمام الذهبي يثبت العلوّ لله على خلقه في كتابه العلوّ ....**	**٨٠**
	قول الذهبي إن حديث الجارية متواتر ، فهو أولى من قول الناقد أنه شاذ ومردود	
	نقل مقتطفات من كتاب «العلو» للذهبي : خطبة الكتاب وسرده لستة وتسعين حديثاً وأثراً في اثبات العلوّ لله سبحانه	٨٠
	نقله لقول أبي حنيفة رحمه الله وطبقته	٨٣
	نقله لقول الإمام مالك رحمه الله وطبقته	٨٤
	نقله لقول الإمام الشافعي رحمه الله وطبقته	٩٠
	نقله لقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله	٩٢
	نقله لقول ابن الأعرابي	٩٣
	نقله لقول المزني والذهلي والبخاري وطبقتهم	٩٤
	وقد ختم ذلك بنقل قول القرطبي فبلغ عدد الذين نقل عنهم مائة وثمانية وستين عالماً	٩٥
١٣ -	**ذكر بعض ماأورده ابن القيم الجوزية في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية على المعطلة والجهمية» من الآيات ، والأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين ، والأئمة ، في إثبات العلو لله ....**	**٩٦**
	قصة الاسراء والمعراج	٩٩

الموضوع	ص

الموضوع	ص




رَفعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com